محاضرات في
علم
العقيدة

دكتوره عزة محمد حسن   د . مديحة محمد أمين
د . سلوى عبد الرحمن يونس

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ ----- ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وخلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين وشرف آدم أبا البشر بخلقه بيديه ونفخ فيه من من روحه وكرمه وذريته فخلقهم فى أجمل صورة وأحسن تقويم . ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات وزودهم بالعقل ليعرفوه وأمدهم بالنعم ليذكروه ويشكروه .

أنزل الكتب واصطفى من الملائكه رسلا ومن الناس لابلاغ عباده شرائعه من الدين ليعبدوه ويوحدوه فتكمل بذلك آدميتهم وتشرف به انسانيتهم . والصلاه والسلام على أشرف الخلق وصفوتهم خاتم الرسل والأنبياء سيدنا محمد النبى الهادى وعلى آله وصحابته ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد فانه نظرا لأهميه العقيدة الاسلامية فى حياة المسلمين حيث أنها كانت دعوة كل الرسل السابقين وهى الدعوة الأولى للرسول صلى الله عليه وسلم منذ أعلن أنه رسول الله فكانت لها أهميتها فهى بمنزله الأساس من البناء فى كل دعوة .

لذلك نقدم هذا الكتاب الذى يحتوى على أشرف وأسمى المسائل والقضايا وأجل وأعظم علم ألا وهو علم العقيدة .

وقد قدمنا فيه القضايا الأساسيه لعلم العقيدة فى ثلاثه أصول وهى الالهيات - النبوات - السمعيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض ، وخلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، وشرف أبا البشر بخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته فخلقهم في أجمل صورة وأحسن تقويم ، ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات وزودهم بالعقل [illegible] بالدين ليذكروه ويشكروه .

أرسل الله إليهم من الملائكة رسلا ومن الناس لإبلاغ [illegible] شرائعه [illegible] [illegible] يعرفون [illegible] بذلك [illegible] [illegible] والصلاة والسلام على أشرف الخلق [illegible] خاتم الرسل والأنبياء سيدنا محمد النبي [illegible] وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإنه نظام الأسرة [illegible] كانت محور [illegible] [illegible] رسول الله [illegible] [illegible] .

[illegible]

[illegible]

التمهيد

ويشمل على مبحثين

المبحث الاول

ويشتمل على

١ ـ تعريف علم العقيده

٢ ـ موضوعه

٣ ـ اسمائه

٤ ـ اسباب نشاته

٥

٥ ـ فوائده

علم العقيده هو العلم الذى يبحث فى العقيده الاسلاميه التى دعا اليها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم والتى اشتمل عليها القران الكريم ومبناها الدعوه الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر

وتنحصر فى ثلاثه قضايا هى :

الالهيات ـ النبوات ـ السمعيات

ولنبدا اولا فى التعريف بهذا العلم :

لقد عرف هذا العلم بتعاريف شتى ولكن سنكتفى بعرض احد هذه التعريفات وهو تعريف المتكلمين :

فقد عرفه المتكلمون بقولهم :
هو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينيه بايراد الحجج ودفع الشبه اى انه علم بامور يحصل معه ـ حصولا دائما ـ قدره تامه على اثبات العقائد على الغير والزامه اياها بايراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها

والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد كقولنا الله تعالى عالم وقادر لا ما يقصد به العمل كقولنا الصوم واجب

اما المراد بالدينيه اى المنسوبه الى دين محمد صلى الله عليه وسلم

اما موضوع علم العقيده : فقد اختلف فى تحديده على اقوال اشهرها الاتى

١ـ قيل ان الموضوع هو : المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد الدينيه

٢ـ وقيل : ان الموضوع هو : ذات الله تعالى اذ يبحث فى هذا العلم عن صفات الله تعالى من حيث وجوده ووحدانيته وغيره من بقيه صفاته تعالى ثم افعاله فى الدنيا كاحداثه للعالم وفى الاخره كالحشر للاجساد وعن احكامه فيها كبعث الرسل والثواب والعقاب .

٣ـ وقيل هو الموجود بما هو موجود اى من حيث هو غير مقيد بشئ واذا كان موضوع الفلسفه الالهيه هو نفس موضوع علم الكلام ـ بحسب هذا الراى ـ فان هناك فرقا اساسيا بينهما يتمثل فى ان علم الكلام يكون البحث فيه على قانون الاسلام اى ما علم قطعا من الدين .

اما الفلسفه فالبحث فيها قائم على قانون العقل اذ يشترط فى الكلام شرطان :

احدهما : ان يكون القصد فيه تاييد الشرع بالعقل

والثانى : ان تكون العقيده قد وردت فى الكتاب والسنه

ولو فات احد هذين الشرطين لا يسمى كلاما اصلا .

اسماؤه :

اما عن اسماء هذا العلم فكثيره اهمها :

١ـ علم التوحيد والصفات :

حيث اطلقت هذه التسميه على هذا العلم تسميه له باشهر وافضل قضاياه المدروسه ، فالحديث عن ذات الله تعالى وصفاته هو اكثر الاحاديث التى بحثت ودرست فى هذا العلم حيث انه اهم قضيه فى هذا العلم .

-علم اصول الدين :

حيث انه العلم الباحث في الاصول الاساسيه للدين الا وهى الالهيات والنبوات والسمعيات .

٢- علم الفقه الاكبر :

لقب بذلك تمييزا له فى مقابل علم الفقه الباحث فى الاحكام العمليه الشرعيه .

٤- علم النظر والاستدلال

حيث انه العلم الذى عن طريقه يتم البحث والنظر واقامه الادله على تلك القضايا العقديه واقامه الحجه والبراهين القطعيه .

٥- علم الكلام :

لقد اختلف فى سبب تسميه هذا العلم بعلم الكلام وهناك عده تعليلات فى تفسير اطلاق هذا اللقب عليه منها :

ا- تعليل يقول ان سبب هذه التسميه لهذا العلم هو تسميه الكل باسم البعض . حيث ان صفه الكلام من الصفات التى اثير حولها الكثير من النزاع بين علماء الكلام لذلك سمى العلم كله باسمها .

ب- وهناك تعليل يقول بانه سمى بذلك باعتبار ثمرته حيث يكسب الدارس له قدره على الكلام والرد على المجادلين المبطلين للحق والزامهم بالحجه والدليل .

حـ ويعلل البعض هذه التسميه تقديرا له حيث انه بمكانه واهميه تلزمنا بتعليمه للغير و
تعلمه للكلام لحاجتنا اليه فى حفظ ديننا والدفاع عنه ٠

نشـــأة علـم الكـلام

من الاسباب الاصليه التى ادت الى نشاه هذا العلم هـى :

١ـ ان القران الكريم تعرض بجانب دعوته الى التوحيد لاهم المذاهب والديانات التى كانت منتشره فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث رد عليهم ونقضـــو ا آرائهم ومعتقداتهم فقام اصحاب هذه المذاهب بمحاوله الطعن فكان طبيعيا ان يقوم علماء المسلمين بالدفاع عن دينهم وكلما جدد المخالفون وجوه الطعن جـــدد المسلمون طرق الرد ٠

٢ـ الفتوحات الاسلاميه واتساع الدوله الاسلاميه حتى شملت بقاع كثيره ودخل فى الاسلام كثير من العناصر المختلفه من اهل الاديان والمذاهب الموجوده والذين يدينـــون بعقائد وافكار متباينه فاخذوا يبحثون عن موقف الدين الجديد من هذه المعتقدات والافكار التى يدينون بهـا ٠

٣ـ تحول الفرق السياسيه التى نشأت الى فرق دينيه وظهور فرقه المعتزله ثـم قيـام الاشاعره بمواجهتها والرد عليها ومحاولتها الدفاع عن منهج السنه فكانت البواعث الاساسيه الاولى لعلم الكلام ٠

٤ـ حركه الترجمه التى كانت فى العصر العباسى كانت عاملا مساعدا على نشاه علم الكلام حيث ترجمت الفلسفه اليونانيه وتخصص فيها من عرفوا بالفلاسفه الاسلاميين كالكندى والفارابى وابن سينا من فلاسفه المشرق وابن باجه وابن طفيل وابن رشد

من فلاسفه المغرب فقد قام هؤلاء بمحاوله التوفيق بين الدين والفلسفه ولقد وقف لهؤلاء الفلاسفه الكثير من المتكلمين بالرد عليهم والدفاع عن الدين وعلى راس هؤلاء المدافعين كان الامام الغزالي .

هذه بعض الاسباب التى ساعدت على نشاه علم الكلام ونموه حتى صار علما له قواعده واصوله .

الفائده من دراسته :

١ـ بالنظر الى اصول الدين : فانه يحفظ العقائد من ان تزلزلها شبه المبطلين .

٢ـ بالنظر الى فروع الدين : انه يبنى عليه العلوم الشرعيه اذ انه اساسها حيث انه لو لم يثبت وجود اله صانع عليم قادر مرسل للرسل منزل للكتب مكلف للبشر لم يتصور علم تفسير او فقه او غيره من العلوم المتوقفه على علم العقيده .

٣ـ بالنظر الى الشخص الدارس لهذا العلم : فان دراسه هذا العلم يساعده على الترقى من حضيض التقليد الى ذروه الايقان . كما انه يربى فيه صحه النيه بالاخلاص فى العمل وصحه الاعتقاد بمراقبته لله تعالى فى السر والعلن .

٤ـ بالنظر الى الغير : يساعد على ارشاد المسترشدين بايضاح الحجه لهم والزام المعاندين باقامه الحجه عليهم .

٥ـ اما الفائده الجامعه فهى الفوز بسعاده الدارين الدنيا والاخره .

المبحث الثانى

الدين وضرورته للبشريه

١ ـ تعريف الدين لغه

٢ ـ تعريف الدين فى الاصطلاح

٣ ـ فطريه التدين

٤ ـ ضروره الدين للبشريه

٥ ـ اصل العقيده الدينيه منذ بدء الخليقه

٦ ـ ان الدين عند الله الاسلام

٧ ـ ما يتضمنه الاسلام

١- تعريف الدين لغه :

كلمه دين كلمه مستمده من اللغه العربيه فهى عربيه اصيله وليست معربه او مشتقه من اللغات الاخرى وهى كلمه واسعه المعانى والمدلولات فاحيانا تطلق بمعنى الجزاء والحساب لقوله تعالى :
(مالك يوم الدين) [1] اى يوم الحساب على الاعمال الدنيويه بالثواب والعقاب ...
واحيانا اخرى تطلق بمعنى الاعتقاد والمذهب او الطريق الذى يتخذه الانسان ويرتضيه لنفسه ويلزم به مثل قوله تعالى :
(لكم دينكم ولى دين) [2] واحيانا تطلق بمعنى الخضوع والزل مثل قولك :
(دان فلان لى) اى خضع وذل لى • واحيانا تطلق بمعنى الحكم والقهر مثل قولك : (دان الناس اى قهرهم واجبرهم على الطاعه) •

اذن فكلمه دين اذا اخذت من فعل متعدى بالباء (دان به) كان معناها الجزاء والحساب والاعتقاد والمله والمذهب باعتبار الانقياد •
واذا كانت ماخوذه من فعل متعدى باللام (دان له) كان معناها الخضوع والطاعه واذا كانت ماخوذه من فعل متعدى بنفسه (دان دينا) كان معناها الحكم والقهر والسلطان •

٢- تعريف الدين فى الاصطلاح :

اختلف العلماء والباحثون فى تعريف الدين فى الاصطلاح الى فرق مختلفه كثيره

١) سوره الفاتحه   ٢) سوره الكافرون ايه ٦

ولكننا سوف نكتفى بالاشاره الى بعض الاراء فى ذلك :

الرأى الأول :

يرى اصحاب هذا الرأى ان الدين يشمل كل الأديان سواء الصحيحه منهـا اى المستنده الى الوحى السماوى او الخرافيه التى هى من وضع البشر ويتدخـل فيها الخيال البشرى ويستندون فى رايهم هذا الى قوله تعالى : (ومن يبتـغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخره من الخاسرين) (١)
وقوله تعالى (لكم دينكم ولى دين) (٢)

إذن فهذا الفريق يعتبر أن الدين هو الاعتقاد بوجود قوه غيبيه لها حق التصرف فى الكون دون راد لقضائها او تصرفها يجب التوجه اليها بالطاعه والخضـوع والعباده ويمثل هذا الفريق الدكتور عبد الله دراز .

الراى الثانى :

يرى اصحاب هذا الراى ان الدين لا يكون الا من عند اله منزل وحيا الى رسـل مؤيدين بالمعجزات .
ويمثل هذا الفريق الامام محمد عبده ويتبعه الدكتور مصطفى عبد الرازق .

٣ـ فطريه التدين :

ان فكره التدين والاعتقاد بوجود اله كامنه فى نفس الانسان ومغروسه فى طبعـه

(١) سورة آل عمران آيه ٨٥
(٢) سوره الكافرون ايه ٦

لا يختلف فيها انسان عن انسان آخر الا بمقدار ما يختلفان فى عوامل البيئـه والتربيه والوراثه وفى درجه المؤثر العائق الذى قد يحول بينهم وبين فطرهم السليمه ونزعاتهم الضروريه المودعه فى طبائعهم الانسانيه قال تعالى : (فاقم وجهك للدين حنيفا فطره الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) ١)

وقد شهدت السنه النبويه بهذا الأصل الاسلامى الكريم فى قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطره وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) ولهذه العوائق والمؤثرات التى تحول بين الناس وفطرهم يفسر انصراف كثير منهم عن الايمان الصحيح والاعتقاد بوجود الله وسواء كان الاهتداء الى وجود الله والكشف عن حقيقه ذاته عن طريق النظر العقلى او الشعور الوجدانى والاحساس الباطنى فان هذا النوع من المعرفه على كلا الطريقتين معتمد على الفطره السليمه التى فطر الناس عليها ومستمده مما ركز فى طبائعهم منذ خلقهم الأول وهم فى ظهور ادم على ما اشار اليه الحق فى قوله تعالى : (واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى) ٢)

اذن ففكره التدين هى نزعه فطريه فى النفس البشريه ولم تتاخر عن نشاه الانسان ، اما انصراف الانسان عن العقائد الحقه الى العقائد الزائفه الباطله فهذا ينشا عاده من اخفاق الانسان فى فهم مركزه ووظيفته فى الكون وهذا بالطبع يكون تحت حاجات الانسان الملحه وضرورات حياته الماديه ومقومات وجوده من هذه الناحيه مما دفع به الى التفاعل بقوه مع هذه الماده وبالغ فى ذلك واسرف حتى انحصر

١) سوره الروم آيه ٣٠
٢) سوره الاعراف ايه ١٧٢

تصوره عن ما سواها من وجود واغفل عقله كل ما عداها من قيم روحيه ،وعندئذ انكر كل ما عدا المحسوس من موجودات وغالط نفسه وخالف طبيعته فحكم حكمه التاصر بأنه لا موجود إلا المحسوس دون ان يلتفت الى ما فى ذلك من انكار لذاته بل لا شرف واكرم جانب فى خصائصه الانسانيه .

وهكذا ترجع نزعه الالحاد وانكار الألوهيه فى الانسان الى نوع من الانحراف الفكرى والعقدى سببته العوامل المتقدمه يفسد الفطره ويميل بها عن سواء السبيل وصراط الله المستقيم الذى اشار اليه سبحانه وتعالى فى قوله تعالى :
(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (١)

لذلك يقول هنرى برجسون : (لقد وجدت وتوجد جماعات انسانيه من غير علوم و فنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعه بغير ديانه) .

٤- ضروره الدين للبشريه :

لقد خلق الله تعالى البشر فى جماعات . ومن المسلم به جدلا ان الحياه الطبيعيه السويه فى اى جماعه من الجماعات لا تتحقق و تؤتى ثمارها دون ان يكون بين افرادها التعاون البناء وهذا التعاون لا يتم الا اذا وضعت له النظم والقوانين التى تجعله يقوم على اساس من العدل والمحبه لجميع افراد هذه الجماعه . والدين نظام ربانى كريم يقوم على مبادىء ساميه خططها الحكيم الخبير الذى لا يضل

---

١) سوره الانعام آيه ١٥٣

ولا يخطىء ورضيها لعباده دستورا يقودهم فى دنياهم الى حياه حره كريمه عزيزه ويعدهم فى اخراهم لميراث جنه عرضها السموات والارض فهو اذن مطلب انسانى رفيع يغذى جانب الروح ولا ينسى حاجه العقل .

فالدين هو الذى يعرف الناس العقيده الحقه فى الله ذاتا وصفاتا وفى الرسل الكرام ما يجوز فى حقهم وما يستحيل وما يجب وهو الذى يخبرنا عن اليوم الاخر وما فيه من بعث وحشر وحساب ولولا الدين ما استطاع العقل الانسانى مهما اوتى من حده فى الذكاء ان يدرك ذلك ادراكا صحيحا كما جاء فى الدين .

كما ان الدين هو الذى يعرفنا الشريعه الحقه من صلاه وصيام وذكاه وحج وهو الذى يبين لنا طرق المعاملات الصحيحه كما حد الحدود ووضع القوانين التى تحمى وتصون النفس والمال والعرض .

وبالرغم من اهميه الدين للناس الا ان البعض يتوهم ان هناك امور يستطيع الانسان ان يستغنى بها عن الدين وهى :

اولا : العقل :

يزعم البعض ان العقل كاف فى الوصول الى حقائق الاشياء والحكم عليها سواء بالحسن ام بالقبح اذن فليس هناك حاجه للدين .

ولكن هذه الدعوى باطله حيث انه على الرغم من تكريم الله تعالى للانسان وتمييزه عن سائر المخلوقات بالعقل وتقدير العقل وجعله فى مكانه ساميه حيث انه مناط التكليف والحساب الا ان العقل ليس كافيا فى معرفه حقائق الاشياء حيث ان العقل قاصر عن ادراك عده امور منها :

١ـ ذات الله تعالى ما يجب ويجوز ويستحيل فى حقه تعالى وصفات الكمال والجلال لله تعالى وصفات التنزيه فلا يستطيع العقل الوصول الى هذه الحقائق الالهيه الغيبيه بدون ارشاد من رسول يوجهه ويوضح له هذه الحقائق .

٢ـ اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب حيث انه من الأمور السمعيه التى لا يستطيع العقل ان يستقل بمعرفتها .

٣ـ الجانب الشرعى العملى من الدين لا يستطيع العقل ان يصل الى ادراكه ومعرفته بمفرده كالصلاه والصوم ... الخ .

لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم (صلو كما رايتمونى اصلى) والخلاصه ان العقل اذا كان قد تبوأ مكانه ساميه فى الدين يجعله مناط التكليف الا انه لا يستطيع ان يقنن القوانين ويضع القواعد والأحكام الدينيه الشرعيه منها او العقديه فهو مقياس يزن الأمور فقط اما الحاكم الذى يصدر الأحكام الدينيه فهو الله تعالى وحده دون سواه .

ثانيا : القانون الوضعى :

يرى البعض ان فى القانون الوضعى ما يغنى عن الدين فهو خير كفيل لهذه المهمه لنفوذ سلطانه وطاعه اوامره بما وضعه من عقوبات رادعه للمخالفين وحدد الجزاءات المغريه للطائعين . ففى هذا القانون ما يكفل للإنسان الأمان على نفسه وماله وعرضه . لكننا نقول ان هذه الدعوى باطله ومرفوضه لأن القانون الوضعى مع ضرورته لضمان الأمن والسلام وتحقيق العداله بين افراد المجتمع إلا انه لا يغنى عن الدين .

ويوضح ذلك الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار مبينا انه لاغنى عن الدين بالقانون الوضعى لأمرين :

الأول : ان القانون الوضعى قد يفقد فى بعض حالاته صفه الإلزام لأن طاعة القانون خوفا من العقاب أو رغبه فى الجزاء لا يمكن أن تأخذ صفه الالزام ولا يتوفر لها عنصر القوه الذى هو ضرورى لسواد هذا القانون واحترامه فى جميع الأحوال وتحت كل الظروف فسرعان ما يعصى القانون عند أمن اطلاع السلطه المنفذه على المخالفه بخلاف الدين فان المراقب فيه لا تخفى عليه

خافيه وهو الله سبحانه وتعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثه الا هو رابعهم ولا خمسه الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا)[١]

الثاني : ان القانون من وضع البشر فالواضع له اما ان يخطىء خطاء غير مقصود في تحريه للعداله ووجه الحق واما ان يتوخى فيه مصالح جماعه معينه او طائفه خاصه ويعمل على حمايه مصالحهم ضد الآخرين أو اعطائهم حقوقا أكبر من الآخرين فالقانون الوضعي لا يكفي ولا يغني عن الدين .

اذن يتضح لنا ان القانون الوضعي لا يغني عن الدين ويتجلى ذلك لنا من خلال استعراض الفروق بين القانون الوضعي وبين الدين وهي :

١ـ ان واضع القانون السماوي هو الله وهو سبحانه وتعالى لا يضل ولا يزل ولا يخطىء اما واضعوا القانون الوضعي فهم البشر الذين هم عرضه للخطاء والنسيان .

٢ـ ان الناس امام قانون السماء سواء لا يتفاضلون بالألوان ولا بالأجناس بل كلهم سواسيه كأسنان المشط وليس لأحدهم فضل على الآخر إلا بالتقوى اما القوانين الوضعيه فهي تفاضل بين الناس على وفق الأجناس والألوان .

٣ـ ان القانون السماوي له تاثير على النفوس فيخشاه الانسان في السر والعلانيه ... اما القانون الوضعي فإذا أمن الإنسان عقابه لا يتورع عن مخالفته .

---

١) سوره المجادله ايه ٧

ثالثا : العلم والتقدم التكنولوجى :

قد يزعم البعض ان العلم الحديث وتطبيق النظريات العلميه فى المجتمع يمكن ان يغنى الانسان عن الاحتياج الى الدين ويضمن له السعاده والأمن •

ولكننا نرد على هذا الزعم الباطل بأن العلم لا يصلح لأن يكون ضمانا لاستتباب الأمن والسلام بين أفراد المجتمع لأنه سلاح ذو حدين حيث يستخدم فى الخير وفى الشر ايضا فهو يخدم الانسانيه ويدفعها الى التقدم والرقى وهو فى الوقت نفسه يمكن ان يساعد على شن الحروب وسيطره القوى على الضعيف والعالم على الجاهل •

وبذلك يتضح لنا ان البشريه فى حاجه ماسه الى الدين حتى تنتظم حياتها ويحترم الجميع القوانين الإلهيه •

٥ ـ اصل العقيده الدينيه منذ بدء الخليقه

يرى علماء المقارنه بين الاديان ان الانسان ترقى فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات فكانت عقائده الاولى مساويه لحياته الاولى وكذلك كانت علومه وصناعاته فليست اوائل العلم والصناعه بارقى من اوائل الاديان والعبادات وينبغى ان تكون محاولات الانسان فى سبيل الدين اشق واطول من محاولاته فى سبيل العلوم والصناعات لان حقيقه الكون الكبرى اشق مطلبا واطول طريقا من حقيقه هذه الاشياء المتفرقه التى يعالجها العلم تاره والصناعات تاره اخرى .

ويعرف علماء الاديان ثلاثه اطوار عامه مرت بها الامم البدائيه فى اعتقادها بالالهه والارباب وهو : دور التعدد

ودور التمييز والترجيح

ودور الوحدانيه

ففى دور التعدد كانت القبائل الاولى تتخذ لها اربابا بالعشرات وقد تتجاوز العشرات الى مئات ويوشك فى هذا الدور ان يكون لكل اسره كبيره رب تعبده او تعويذه تنوب عن الرب فى الحضور وتقبل الصلوات والقرابين .

وفى الدور الثانى وهو دور التمييز والترجيح تبقى الارباب على كثرتها وياخذ رب منها فى البروز والرجحان على سائرها اما لانه رب القبيله الكبرى التى تدين لها القبائل الاخرى بالزعامه وتعتمد عليها فى شئون الدفاع والمعاش واما لانه يحقق لعباده مطلبا اعظم والزم من سائر المطالب التى تحققها الارباب المختلفه .

وفى الدور الثالث تتوحد الامه فتجتمع الى عباده واحده تؤلف بينها مع تعدد

الارباب فى كل اقليم من الاقاليم المتفرقه ويحدث فى هذا الدور ان تفرض الامه عبادتها على غيرها كما تفرض عليها سياده تاجها وصاحب عرشها . ولا تصل الامه الى هذه الوحدانيه الناقصه الا بعد اطوار من الحضاره تشيع فيها المعرفه ويتعذر فيها على العقل قبول الخرافات التى كانت سائغه فى عقول الهمج وقبائل الجاهليه فتصف الله بما هو اقرب الى صفات الكمال والقداسه من صفات الالهه المتعدده فى اطوارها السابقه وتعترف العباده بالتفكير فى اسرار الكون وعلاقتها باراده الله وحكمته الساميه وكثيرا ما ينفرد الاله الاكبر فى هذه الامم بالربوبيه الحقه وتنزل الارباب الاخرى الى مرتبه الملائكه او الارباب المطرودين من الحضره السماويه .

والراى الراجح عند علماء الاديان ان الاعتقاد بالثنائيه ياتى احيانا كثيره بعد اعتقاد الوحدانيه ويعللون ظهور الثنائيه بعد الوحدانيه بان الانسان يترقى فى هذا الطور فيحاول تفسير الشر فى الوجود بنسبته الى اله غير اله الخير . ولا يكون هذا من قبيل النكسه فعقيدته لانه لايزال يسيغ تعدد الارباب ويسيغ التمايز والترجيح بينها والتفاوت بين درجاتها وطبائعها . فلا تكون الثنائيه بعد الوحدانيه نكسه من الاعلى الى الادنى بل تقدما من الادنى الى الاعلى لتنزيه الله والارتفاع بصفاته الى ارفع صور الكمال الموافقه لترقى الانسان فى اطوار العباده . ولكن بعد هذا العرض لراى هؤلاء العلماء نقول ان فكره ترقى الانسان فى العقائد ترقيه فى العلوم والصناعات وقول هؤلاء العلماء بان هناك ثلاثه اطوار عامه مرت بها الشعوب حتى وصلت الى الوحدانيه .. هذا الراى خاطئ من وجهه النظر الاسلاميه .

ويوضح لنا ذلك القران الكريم فى قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكه فقال انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا . انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) (١)

إذن كان آدم على علم بالله عز وجل بل كان أكثر البشر معرفه به جل شانه . فتكون الوحدانيه ومعرفه الله هى الطور الأول من الأدوار التى مرت بها عقائد الشعوب حسب ما يقرره القرآن .

ولم تنقطع صله آدم بالله سبحانه وتعالى عقب هبوطه الى الأرض بل اصطفاه ربه ليبلغ بنيه حقيقه الحق فلم يعرفوا إلا إلها واحدا لا شريك له ولم يتخذوا أربابا بالعشرات كما يزعم علماء مقارنه الأديان ..

ولو كانت نظريه ارتقاء الانسان فى العقائد كارتقائه فى العلوم والصناعات صحيحه ولو كان قول علماء الأديان بان هناك ثلاثه اطوار عامه مرت بها الأمم البدائيه فى اعتقادها بالآلهه والأرباب حتى وصلت الى دور التوحيد الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لحق على البشريه الا ترتد إلى عباده ارباب متفرقين بعد ان اهتدت إلى الاله الواحد .

بيد ان الواقع التاريخى يدحض هذه المزاعم كلها فقد كانت البشريه تعرف التوحيد ثم تعود الى الشرك ثم التوحيد فالشرك والقرآن الكريم يوضح هذه الحقيقه توضيحا دقيقا يقول تعالى : (الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) (٢)

---

١) سوره البقره الآيات ٣٢، ٣٣ ٢) سوره الحديد آيه ١٦

اذ ن الوحدانيه هي اصل العقيده الدينيه وكلما طال على الناس العهد تقسوا قلوبهم ويتخذ ون من د ون الله اربابا فيرسل الله تعالى لهم الرسل ليعيد هم إلى الرشد والحق والصراط المستقيم ۰ قال تعالى :

(وإلى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره افلا تتقون) (١)

وقال تعالى :

(والى ثمود اخاهم صالحا ۰ قال ياقول اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها ۰ فاستغفروه ثم توبوا اليه ۰ ان ربى قريب مجيب) (٢)

وهكذا يتبين لنا ان الوحدانيه كانت اصل نشاه العقيده الدينيه لا كما يزعم علماء الاديان من انها كانت الطور الاخير من اطوار العقيده الدينيه كما يتبين لنا ان التوحيد هو دعوه كل الرسالات السماويه وكان الاسلام هو الاسم الذى اطلق على كل عباده تدعوا الى التوحيد وهذا يجرنا الى موضوع اخر وهو ان الدين المعتبر هو الاسلام ۰

٦ـ ان الدين عند الله الاسلام :

فالاسلام هو الاسم الذى اطلق على الدين الذى ارتضاه الله لعباده فقد قال تعالى عنه :

(افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها

١) سوره الاعراف ايه ٦٥

٢) سوره هود ايه ٦١

واليه يرجعون) [1]

وتوضح آيات القران الكريم ان كل رسول جعل اسم الاسلام علما على الدين الذى يدعو له ٠ قال تعالى على لسان نوح عليه السلام
(وامرت ان اكون من المسلمين) [2]

وعن ابراهيم عليه السلام يحكى القرآن الكريم
(اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين)

وعن يعقوب يقول القرآن الكريم
(اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون) [3]

وعلى لسان موسى يحكى القران الكريم :
(يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) [4]

وبلقيس حين اسلمت قالت :
(رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) [5]

ويقول الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام :
(ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) [6]

---

١) سوره ال عمران ايه ٨٣
٢) سوره يونس ايه ٧٢
٣) سوره البقره ايه ١٣٣
٤) سوره يونس آيه ٤٠
٥) سورة النحل آيه ٤٤
٦) سورة أل عمران آيه ٦٧

٧ـ ما يتضمنه الاسلام :

اذا نظرنا فى الحقائق التى أتى بها الاسلام لوجدناها قسمين عقيده وشريعه ٠

اولا : العقيده :

هى الجانب النظرى من الدين الذى يجب على المؤمن الإيمان به إيمانا يقينيا مبنيا على التصديق الجازم مع الشعور بالرضى والقبول واقبال النفس عليه والاطمئنان به قال تعالى : (إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (١)
وهى عباره عن التصديق بوجوب الوجود لله عز وجل والتصديق بوحدانيته وباتصافه بكل صفات الكمال وبأحقيه القرآن وأحقيه رساله محمد صلى الله عليه وسلم والبعث والجنه والنار كل هذه امور اعتقاديه نظريه تتعلق بالاعتقاد الذى محله القلب ودائرته الفكر والنظر ٠٠ وبنظره فاحصه فى هذا الجانب من الدين الاسلامى نجد ان الحكم فيه يتعلق بأمر قلبى ٠

وكما ذكرنا انفا ان مسئوليتنا حياله انما هى التصديق به تصديقا جازما ٠وقد سمى هذا القسم من الدين فى القرآن باسم الإيمان وسمى فى العرف العام باسم العقيده وقد فسر كل من القرآن الكريم والسنه النبويه اركان العقيده الاسلاميه فقال تعالى : (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله) (٥)

١) سوره النحل آيه ١٠٦

وقال تعالى : (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكه والكتاب والنبيين) (١)

وفى حديث جبريل عليه السلام المروى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه سأل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره)

وايضا عن عباده بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنه حق والنار حق ادخله الله الجنه على ما كان عليه من العمل .

وهذا الحديث يتضمن الأصول الثلاثه للعقيده الاسلاميه التى اوجب الاسلام على المسلم معرفتها وهى :

الأصل الاول : معرفه الله تعالى وصفاته والايمان به .

الأصل الثانى : معرفه الواسطه بين الله وعباده وهى الإيمان برسل الله وملائكته وكتبه وما جاءت به من تشريعات .

الاصل الثالث : معرفه البعث والحساب والايمان بهما .

والعقيده هى المرحله الأولى من دعوه الرسل جميعا وكانت دائما كامله ومستوفاه لجميع اركانها ولذلك كانت هى الأصل والاساس بالنسبه للدين

---

١) سوره البقره ايه ١٧٧

ثانيا : الشريعـــه :

هى الجانب العملى من الدين فهى عباره عن القوانين والنظم التى وضعها الله سبحانه وتعالى ورتب قواعدها واصولها لتنظم علاقه الانسان بربه وعلاقته بالناس وعلاقته بالكون المحيط به ٠

وهذا القسم من الدين لا يتعلق بالاعتقاد الذى محله القلب ولكنه يتعلـــق بالأعمال التى تؤديها الجوارح خضوعا لله سبحانه وتعالى وامتثالا لاوامره وهى مثل الصلاه والصوم والزكاه والحج وحرمه المال والنفس والعرض وقـــد نص القرآن على هذه الشرائع ووضحها قال تعالـى : (واقيموا الـصلاه واتوا الزكاه واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجـــدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا ٠ واستغفروا الله ٠ ان الله غفور رحيـم) ١)

وقال تعالى : (ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ٠ أياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفـر فعده من أيام اخر وعلى الذين يطيقونه فديه طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خيرا له وان تصوموا خيرلكم أن كنتم تعلمون) ٢)

وقال تعالى : (واتموا الحج والعمره لله) ٣)

١) سوره المزمل ايه ٢٠
٢) سوره البقره الايات ١٨٣ ـ ١٨٤
٣) سوره البقره ايه ١٩٦

وقال تعالى (والسارق والسارقه فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكـــالا من الله والله عزيز حكيـــم) ١)

وقال تعالى : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتـــــل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصـــورا) ٢)

وقال تعالى : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فآحشه وساء سبيـــلا) ٣)

إلى غير ذلك من الآيات التى تحدثت عن مسائل الشريعه واذا كانت العقيـده هى المرحله الأولى من مراحل الدعوه فى كل الرسالات فقد جاءت الشريعـــه دائما فى المرحله الثانيـــه .

اذن الاسلام ينقسم الى عقيده وشريعه وكل منهما تكمل الأخرى فيكون منهمـا معا الدين الحق الذى رضيه الله سبحانه وتعالى لعباده ولقد كانت كلمـــه الله الجامعه لمعرفه شعبتى الاسلام هو القران الكريم الذى جاء للناس بالهــدى ودين الحق وبين لهم ان الاسلام لا يكون ولا يثبت معناه ولا ينجى المسلـــم يوم القيامه إلا إذا اخذ هذان القسمان (العقيده والشريعه) طريقهمــا إلى قلبه وجوارحه معا . ولقد بين القرآن الكريم هذا المعنى اوضح بيـــان

قال تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا .) ٤)

اذن لا يستطيع المرء ان يستغنى باحدهما عن الآخر .

---

١) سورة المائدة آيه ٣٨

٢) سوره الاسراء آيه ٣٣

٣) سوره الاسراء ايه ٣٢

٤) سوره الكهف ايه ١٠٧

أولا: الالهيات

الفصل الأول

الايمان بالله تعالى

الايمان بالله تعالى

ان وجود الله تعالى من الامور المركوزه فى الفطره والطبيعه البشريه حيث جبل عليها الانسان فهو يحس فى وجوده موجودا كبيرا هو الهه الذى يطيعه ويتوجه اليه بالعباده وهى فطره تظهر من تلقاء نفسها وذلك فى لحظات الضيق والخطر والالم فلا يكاد الانسان يواجه موقف من المواقف العصيبه حتى يتوجه الى الله بقلبه داعيا متوسلا راجيا الرحمه والخلاص من هذه الشده او هذا الالم .. ولذلك نجد القران الكريم يصور لنا هذه الفطره الانسانيه بقوله تعالى : (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمه اذا فريق منهم بربهم يشركون) (١)

وقوله تعالى : (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه اوقاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون) (٢)

اذن وجود الله تعالى امر فطرى فى النفس البشريه وليس بحاجه الى الاستدلال عليه واذا كان هناك عور لعدم الايمان بالله تعالى فهذه النماذج هى مشركه بالله تعالى وليست جاحده لوجوده مطلقا وان هذا الشرك الحال بها انما هو اما عنادا واستكبارا واما شعورا بالنقص الشديد

---

١) سوره الروم ايه ٣٣   ٢) سوره يونس ايه ١٢

ويوضح القران الكريم هذا المعنى بقوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) (١)

وقوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله . فأنى يوءفكون) (٢)

اذن فالله تعالى موجود داخلهم ولكنهم يشركون به لذلك نجد ان القران الكريم لم يتناول قضيه وجود الله بطريقه مباشره لانه اعتبر هذه القضيه بديهيه من البديهيات ليست بحاجه الى الاستدلال عليها وانما القضيه التى يتناولها بالعرض والتحليل وتوقف امامها كثيرا هى قضيه وحده الألوهيه وتنزيهها عن الشرك حيث رأى القرآن الكريم أن هذه القضيه هى الجديره بالبحث والمناقشه .

واذا كان القرآن الكريم قد تعرض لقضيه وجود الله تعالى بالتوضيح فذلك من اجل هذه الطائفه التى تقاعست بجوارها ومداركها عن ادراك هذه الحقيقه الفطريه فحاول القرآن الكريم ان يزيل الغشاوه التى غطت على هذه الجوارح والاحاسيس وان يدفعها الى الرجوع الى الفطره المجبوله عليها من الاعتراف بوجود الخالق سبحانه وتعالى .

---

(١) لقمان آيه ٦٥ (٢) سوره الزخرف ٨٧

ادلـه وجـود اللـه تـعـالـى

ان الاستدلال على وجود الله تعالى يكون عن ثلاث طرق :
الاول : الأدله النقليه
الثانى : الادله العقليه
الثالث : الأدله الوجدانيه

أولا : الأدله النقليه

لقد كان للقران الكريم منهجا قويما فى الاستدلال على وجود الله حيث سلك القران مسلك التوجيه الى الاعتبار والتفكر فى مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته فكان له سبيلين فى هذا التوجيه هو توجيه الانسان الى النظر والتامل فيما حوله من آيات الابداع الكونى ثم توجيهها الى النظر فى النفس البشريه ذاتها واستخلاص عظمه المبدع لهذه الأشياء .

قال تعالى : (سَنُرِيهِم آيَاتِنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحقُ . اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيدا) (١)

اذن وجه القران الكريم الانسان الى النظر والتأمل فى الابداع الكونى حوله وعبر عن ذلك بالآفاق كما وجهه الى النظر والتأمل فى النفس البشريه وعبر عن ذلك بالانفس .

١) سوره فصلت ايه ٥٣

والنظر فى الافاق بمعنى التأمل فى آيات الابداع فى كل ما حولنا من مخلوقات لله تعالى تشير الى ابداع الخالق لهذه المخلوقات .

قال تعالى : (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) ١)

ثم يفصل القران الكريم آيات الابداع فى خلق السموات فيقول تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) ٢)

وقال تعالى : (ويمسك السماء ان تقع على الارض إلا باذنه . ان الله بالناس لرؤوف رحيم) ٣)

وقال تعالى : (الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من ... ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) ٤)

ولم يكن الابداع والنظام للسماء والكواكب فقط هى الأدلة على وجود الله تعالى بل ايضا تسخير عناصر هذا الكون لخدمة الانسان .

---

١) سوره الى عمران ١٩٠ ــ ١٩١

٢) سوره الرعد ايه ٢

٣) سوره الحج ايه ٦٥

٤) سوره الملك ايه ٣ــ٤

قال تعالى : (والله انزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ٠ ان فى ذلك لآيه لقوم يسمعون ٠ وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ٠ ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ٠ ان فى ذلك لآيه لقوم يعقلون)(١))

وايضا يقول تعالى : (واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ٠ ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذلك يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) ٢)

الى غير ذلك من الآيات الكريمه التى توضح الابداع الالهى والربوبيه المطلقه ٠ فقد رأينا من خلال هذه الآيات الكريمه كيف خلق الله تعالى العالم على هذا النظام والترتيب الذى يدل على مدبر حكيم فى تدبيره خلق السموات والأرض على افضل صوره وسخر هذا الكون كله من سماء وارض وبحار وحيوان ونبات لخدمه الانسان ٠

وهناك الكثير من الآيات القرآنيه الكريمه التى لا نستطيع حصرها فى هذا المعرض القصير والتى تحمل فى طياتها الأدله على وجود الله تعالى بل البراهين المؤكده على وحدانيته حيث انها تثبت من خلال تصوير النظام والابداع والعنايه الفائقه بالكون ـ وجود الخالق المبدع ووحدانيته من حيث تفرده بالربوبيه وبالتالى وجوب تفرده بالألوهيه ٠

---

١) سوره النحل الآيات ٦٥ : ٦٩

٢) سوره النحل الايات ٦٨ : ٦٩

النظر فى الانفس :

قال تعالى : (وفى انفسكم ، افلا تبصرون) ١)

فقد وجه القرآن الكريم الانسان من خلال هذه الآيه الكريمه الى التأمل والنظر فى نفسه وحياته نظره تفحص واعتبار ليتضح له من خلال هذا التأمل كيفيه خلقه والأطوار التى مربها والتى لم تحدث من تلقاء ذاتها ليشهد بنفسه ان هذا التكوين الانسانى ناتج عن صانع حكيم مدبر ولم يكن عن طريق الصدفه او عن غير فاعل أو موثر ٠

قال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفه فى قرار مكين ثم خلقنا النطفه علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين) ٢)

فلقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين وهو الذى يعتبر البذره الأولى للانسانيه ثم انشأ الانسان من ماء الحياه والذى تكون منه النطفه واذا تتبعنا سلسله تكوين الانسان من بدايتها الى خروجه من رحم امه إلى الحياه الدنيا تتجلى لنا عظمه الخالق حيث كان هذا الانسان نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم صوره فى افضل هيئه واحسن صوره فخلق له العين والاذن والانف واللسان وخلق له العقل الذى به يكون الفكر والقلب الذى به تكون الحياه ٠

فاذا نظر الانسان الى هذه الأحوال والأطوار فى حياه الانسان نظره تأمل وتدبر تبين له ان هذه الصنعه لا تصدر الا عن صانع حكيم مختار ٠

---

٢) سوره المؤمنون ايه ١٢-١٤

١) سورة الذاريات آية ٢١

كما يخبر الحق تبارك وتعالى انه خلق البشريه جميعا من نفس واحده هـــى نفس آدم عليه السلام ٠

قال تعالى : (ياايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده وخلــق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلــون بــه والارحام ٠ ان الله كان عليكم رقيبا) النساء ١

اذن إلنظر والتأمل فى خلق الانسان وتعقيداته البشريه انما يشيــــــر بالضروره الى خالق مبدع حكيم خبير فى خلقه وصنعته ٠

الأدله العقليه :

لقد كان للعلماء عده اتجاهات فى اثبات وجود الله تعالى حيث اتجه المتكلمين الى اثبات وجوده تعالى عن طريق دليل الحدوث واتجه الفلاسفه الى اثبـــات هذا الوجود عن طريق دليل الامكان ٠
وسوف نتناول كل دليل على حده :

اولا : دليل الحدوث :

هذا الدليل كما ذكرنا هو دليل المتكلمين حيث وضعوا دليلهم فى هيئـــه قياس منطقى مركب من قضايا قالوا فيه :
العالم حادث ٠ وكل حادث لابد له من محدث ٠ اذن العالم ~~العالم~~ لابد لــه من محدث ٠ ولتوضيح القضيه الأولى وهى العالم حادث قالوا :
العالم متغير ٠ وكل متغير حادث ٠ اذن العالم حادث

اما ان العالم متغير فلأنه مكون من جواهر واعراض وكل منها يطرا عليه التغيـــر والحدوث فالأعراض متغيره حيث نجد الشيء ابيض ثم يتحول الى الأسود والعكس والأعراض قائمه بجواهر حادثه فهي توجد بعد ان لم تكن موجوده فهي اذن حامله لصفه الحدوث وهو الوجود بعد العدم

اذن العالم بقسميه موجود بعد عدم وهذا من صفات الحدوث
اذن العالم حادث ٠

اما القضيه الثانيه وهي ان كل حادث لابد له من محدث ٠ فهي قضيه مسلمـــه وبديهيه فإن من رأى بناء شامخا ادرك على الفور ان لهذا البناء بانيا ولأن هذا الحادث الذي وجد بعد ان لم يكن موجودا لا يستطيع ان يوجد نفسه من العدم

والا سيكون عله لنفسه وفي ذلك الوقت سيكون متقدما على نفسه متأخرا عليهــا وهو تناقض والتناقض محال ٠
اذن العالم لابد له من محدث ٠

هذا المحدث للعالم لابد ان يكون مغايرا له فلا يكون متصفا بالحدوث وانما لابد ان يكون قديما لذاته لانه لو كان حادث لاحتاج الى محدث ويتسلســل الأمر الى مالانهايه والتسلسل باطل ٠
اذن ثبت وجوب محدث للعالم قديما وهو الله سبحانه وتعالــى ٠

ثانيا : دليل الامكان :

استدل الفلاسفه على وجود الله تعالى بهذا الدليل حيث وضعوه ايضا علـى هيئه قياس منطقى فقالوا : العالم ممكن وكل ممكن محتاج لمرجح وجوده على عدمه اذن العالم محتاج لمرجح وجوده على عدمه .

اما القضيه الاولى وهى ان العالم ممكن فلأنه موجود بعد عدم وهذا مـــن شأنه ان يجعله ممكن الوجود والعدم اى يتأرجح بين الوجود والعدم.
اذن العالم ممكن ... وبما انه وجد بعد عدم.
اذن فهو محتاج لهذا المرجح

هذا المرجح الموجد للعالم ان كان واجب الوجود فهو المطلوب وبذلـــك يثبت وجود المرجح الواجب الوجود وهو الله تعالى . وان لم يكن هذا المرجح واجب لذاته بل كان ممكن احتاج الى مرجح ايضا واجب لذاته ويتسلسل الامر والتسلسل باطل .
فلا بد ان تنتهى السلسله عند مرجح واجب الوجود لذاته وهو الله تعالـى .

كان ما تقدم هو الاستدلال العقلي على وجود الله تعالى وهو يعتمد على المقدمات اليقينيه التي تعتمد على العالم المادى المحسوس الواقع تحت دائره العقل والحس المشاهد للكون وحركاته وتغيراته التي تؤدى بالعقل الى الحكم بضروره احتياج الحادث إلى فاعل لابد أن يكون مستغنيا فى وجوده عن غيره وان يكون قديما فى ذاته حكيما خبيرا فى صنعته

لكن هناك سبيل سلكه المتصوفه فى اثبات وجود الله الا وهو الاستدلال بالقلب والمشاعر والوجدان حيث يحصل عليها الانسان حين يبتعد عن الشهوات وحين تصفو نفسه وتطهر ذاته وتسمو روحه ولهذا نجد ان القرآن الكريم قد وجه الناس الى التأمل والنظر فى النفس الانسانيه فقال تعالى : وفى انفسكم افلا تبصرون . ايذانا بأننا اذا تأملنا فى نفوسنا وقصدنا الى وجداننا فتعهدناه بالتصفيه والى قلوبنا فأخذناها بالرياضه الروحيه لاستطعنا ان ندخل مجال البصيره والرؤيه القلبيه التى يسميها القران الكريم (عين اليقين) وتحصيل هذا النوع من الادراك ممكن وميسور لأى انسان اخذ نفسه بالتجرد عن عالم الحس والتخلص من مشتهياته حتى يخلصها من الاغلال والقيود التى تشوب صفاءها وتشغلها عن ادراك الحقيقه الكامنه وراء عالم الحس والمشاهده

وهذا النوع من الايمان يدركه الذين حصل لهم من الاستعداد مايهيؤهم لتصديق به تصديقا يقينيا يحصل للنفس فى صوره الهام خفى ونور بصيرى يقذفه الله فى قلوب الاخيار من عباده الذين اراد لهم الهدايه الى الحق الساطع والنور الوضاء .

د . عزة محمد حسن

المبحث الثاني : صفات اللـه

معنى الصفه :

عرف المتكلمون الصفه بتعريفين :

عرفها بعضهم بأنها المعنى الوجودى القائم بالموصوف

وعرفها آخرون بأنها ماليس بذات وجوديا كصفات المعانى أو عدميا كصفات السلب ٠

أقسام الصفات :

تنقسم الصفات الواجبه لله سبحانه وتعالى الى

اولا : صفة نفسيه :

وهى الحال الثابته للذات غير معلله تلك الحال بعله وليس لهذا القسم غير صفه واحده ، هى صفه الوجود ٠ وقد مر الحديث عنها فيما سبق ٠

ثانيا : صفات سلبيه :

وهى التى تسلب عن الله تعالى أى نقص لا يليق بذاته المقدسة

وهى خمس القدم ، البقاء ، المخالفه للحوادث ، القيام بالنفس ، الوحدانيه

وسوف أتحدث عن كل صفه فيما يلى موضحة معناها والدليل عليهـا ٠

صفة القدم

معنى القدم :
القدم هو عدم أوليه الوجود ، أى أن وجوده تعالى غير مسبوق بعدم .
وقد قسم بعضهم القدم الى ثلاثه أنواع :
أ- قدم زمانى وهو وجود الشئ فى الزمن الممتد فى الازل الى مالا نهايه .
ب- قدم اضافى وهو سبق شئ لما حدث بعده وذلك كقدم الاب بالنسبه لابنه .
جـ- قدم ذاتى وهو عدم الاحتياج الى الغير فى الوجود .

الدليل على القدم

الدليل النقلى :
قوله تعالى (هو الاول والاخر) (١)
الدليل العقلى :
أنه لو لم يكن قديما لكان حادثا ، ولو كان حادثا لاحتاج الى محدث ، وهذا المحدث ان كان قديما ثبت المطلوب وان كان حادثا أحتاج كذلك الى محدث ومحدثه كذلك الى محدث فيتسلسل الامر والتسلسل باطل ، فيبطل ما أدى اليه وهو كونه حادثا ويثبت انه قديم .

صفة البقاء

معنى البقاء
هو عدم آخريه الوجود . ذلك لانه واجب الوجود ، فوجوده من ذاته ، ومن كان هكذا شأنه فانه لن يدركه فناء .

(١) سورة الحديد آية ٣

الدليل على البقاء

الدليل النقلى :

قوله تعالى (كل شئ هالك الا وجهه) (١)

وقوله جل شأنه (وتوكل على الحى الذى لا يموت) (٢)

وقوله عز وجل (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) (٣)

الدليل العقلى :

انه لو لم يكن باقيا لما كان قديما ،لكن عدم كونه قديما باطل ،حيث انه ثبت بالدليل قدمه ،فيبطل ما يؤدى اليه من نفى البقاء ويثبت له البقاء

صفه المخالفه للحوادث

معنى مخالفه الله للحوادث

هو انه تعالى لا يشبه الحوادث لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله وتسميه الله تعالى بما نسمى به الحوادث لا يعنى الاتفاق فى المسمى فان قيل أن فلانا عالم حى موجود مثلا ،وهذه صفات الله كذلك فالمشابهه من حيث التسميه فقط ، أما حقيقه الصفه فشتان بين علم الله وعلم البشر ،وقدرة الله وقدرة البشر ،وسمع الله وسمع البشر ،فالله يسمع ولكن ليس بأذن كأذاننا ،فهو لا يسمع بآله ان تعطلت تعطل السمع كما لا يشغله صوت يتجه اليه بالدعاء عن صوت أخر يتجه اليه بالدعاء فى نفس الوقت .

---

(١) سورة القصص آيه ٨٨

(٢) سورة الفرقان آيه ٥٨

(٣) سورة الرحمن آيه ٢٦ ،٢٧

ذلك لان الله عز وجل قديم وغير حادث وهو واحد وغير متعدد متكثر ،ومن هنا فهو جل شأنه مخالف لغيره من الكائنات ،مخالف لها في ذاته وصفاته وأفعاله ،فهو مخالف لكل ما يجوز عليه العدم من الحوادث ،ذلك لان الحوادث محتاجه لغيرها في ايجادها ،والله تعالى موجود بذاته ،والحوادث محتاجه الى اجزائها ،والى المكان الذى تشغله ،والله غنى عن كل ذلك .

قال تعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) (١)

وقال تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) (٢)

ويوضح العلماء هذه المثليه المنفيه عنه تعالى فيقولون انه تعالى ليس بجسم ولا في مكان ولا في جهه ،وليس جوهرا ولا عرضا ،وأنه ليس في زمان ،ولا يتحد بغيره ولا يجوز ان يحل فيه ،،انه لا يقوم بذاته حادثه ،وانه لا يتصف بالاعراض المحسوسه ،وانه ليس له صاحبه ولا ولد ،وان ماهيته لا يمكن ان تعلم وهى ليس مركبه ،فهو ليس بذى أبعاض ولا جوارح ،ذلك أن هذه الاشياء يلزمها الاحتياج ،اذ يحتاج الجسم الى اجزائه والى ابعاضه ،ويحتاج الى الحيز والمكان الذى يشغله ،والاحتياج يلزمه الحدوث ، وهو ينافي وجوب الوجود لله تعالى ،واستغناؤه تعالى عن كل ما يغايره من الكائنات

وقد اعترض بعض المشبهه بالنصوص التى توهم مشابهته تعالى للحوادث مثل قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم)

وقوله جلت قدرته (ويبقى وجه ربك)

وقوله (يخافون ربهم من فوقهم)

ولكن العلماء قد اجابوا عن هذا الاعتراض بواحد من جوابين .

---

(١) سورة الشورى آيه ١١

(٢) سورة الاخلاص آيه ٣ ، ٤

فذهب بعضهم الى التوقف وعدم البحث فى هذا الموضوع لانه فوق مستوى العقول البشريه وهم جمهور السلف فقد ذهبوا الى عدم الخوض فى مثل هذه الآيات وعدم التعرض لمعناها ، وقالوا الله أعلم بمراده منها ، فقد فوضوا العلم بها لله تعالى ، ولذلك أوجبوا الوقف على لفظ الجلاله فى قوله تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابهه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله)

ولذلك امتنع الامام مالك (رضى الله عنه) عن تفسير الاستواء عند ما جاءه رجل يسأله عن كيفيه الاستواء فى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)فقال الامام مالك (الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعه)

وذهب فريق من العلماء وهم الخلف الى تأويل هذه الآيات على مايليق بجلال الله تعالى وذلك أنهم قالوا انه قد ثبت مخالفه الله تعالى لجميع خلقه وانه لايشبه شيئا من الحوادث ، ولما كانت هذه الآيات والأحاديث توهم مشابهه الله لخلقه وجب تأويلها ، وصرفها عن ظاهرها اذ أن الخلف قد وقفوا عند قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) فكأنهم يشركون فى معرفه تأويل هذا المتشابه مع الله الراسخين فى العلم ، وعلى هذا فالراسخون فى العلم يشاركون الله فى علم التأويل ، ومن هنا اباحوا لأنفسهم تأويل هذه النصوص التى توهم المثليه فقالوا فى قوله تعالى (يد الله فوق ايديهم) قدرته فوق قدرتهم فأولوا اليد بالقدره ، كما أولوا العين بالرؤيه والحراسه فى قوله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) وأولوا الوجه بالذات فى قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) أى ذاته تعالى .

ومن هنا نرى أن كل فريق من الفريقين يذهب الى ان الله تعالى لا يشبه شيئا من خلقه ،وانه مخالف لكل ماعداه ،ويرى أن ظاهر مثل هذه الآيات والاحاديث لا يليق بذاته تعالى ولكن السلف وقفوا عند اللفظ ولم يخوضوا فى معناه ووكلوا العلم به لله تعالى ،وقالوا الله أعلم بمراده ،والخلف أولوا اللفظ وصرفوه عن ظاهره الى معنى يليق به تعالى .

فالفريقان متفقان على تنزيه الله تعالى وعدم مشابهته لخلقه .

الدليل على مخالفة الله تعالى للحوادث

الدليل النقلى :

قوله تعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) (١)

قوله جلت قدرته (ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم) (٢)

الدليل العقلى :

لو لم يكن تعالى مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها ولو كان مماثلا لها لكان حادثا مثلها ، وكونه حادثا باطل لما ثبت من انه تعالى قديم ،واذا بطل كونه حادثا بطل ما أدى اليه من مماثلته للحوادث ، وثبت مخالفته تعالى للحوادث .

صفة القيام بالنفس

معنى قيامه سبحانه بنفسه

هو انه تعالى مستغن عما سواه استغناء تاما ،فهو سبحانه غير محتاج الى من عداه ، ومحتاج اليه من عداه .

---

(١) سورة الشورى آيه ١١ (٢) سورة النمل آيه ٦٠

فالله تعالى قائم بنفسه ومستغن عن الغير فى القيام به فهو تعالى مستغن عن محل يقوم به ، وهو مستغن كذلك عن المخصص والمؤثر .

فالله جل شأنه لا يحتاج الى محل يكون فيه لان المحل يقوم ويحدد ما يكون فيه ، فيكون ما فى المحل محصورا ومحاطا بغيره ، والله تعالى لا تحصره الا مكنه ولا تحدده الا زمنه فهو جل شأنه مجرد عن الزمان والمكان .

والله تعالى غنى عن المخصص ، فان المخصص معناه المؤثر والموجد ، فلو احتاج تعالى الى مخصص من الخارج لاحتاج الى مؤثر وموجد ، والله تعالى موجود بنفسه لم يؤثر فيه غيره فوجوده واجب وقدمه واجب كذلك .

الدليل على قيامه تعالى بنفسه

الدليل النقلى :
قوله تعالى (يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد) (١)
وقوله تعالى فى حديثه القدسى (ياعبادى لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيئا) .

الدليل العقلى :
هو انه لو كان سبحانه وتعالى محتاجا الى غيره ، لما كان واجب الوجود ، ولو لم يكن واجب الوجود لذاته لكان حادثا ، ولكان ممكنا ، وهذا باطل بالدليل فثبت اذن انه واجب الوجود لذاته وبالتالى غير محتاج الى من وما سواه وهو المطلوب .

صفة الوحدانيــة

معنى الوحدانية

الوحدانية هى عدم تعدد الذات والصفات والافعال أى أن الله تعالى واحـد فى ذاته وصفاته وأفعاله .

ومعنى وحدة الذات فهى

أولا : انه تعالى واحد لا شريك له ولا ند ولا مثيل ولا شبيه ،
ثانيا :أن ذاته تعالى ليست مركبه من أجزاء .

ومعنى وحدة الصفات فهى

أولا : أن صفته تعالى لا تشبه صفة الحادث . فقد يتصف الحادث بالعلم مثلا والله سبحانه وتعالى يتصف بصفة العلم ولكن الاتفاق فى التسميه فقط أما فى الحقيقـــة فشتان بين علم البشر القاصر وبين علم الله سبحانه وتعالى الشامل .

ثانيا : عدم وجود صفتين فأكثر من جنس واحد لله تعالى فالله سبحانه قادر بقـدرة واحدة لا بقدرتين ،وعالم بعلم واحد لا بعلمين ،وهكذا ....

أما معنى وحدة الأفعال

أى انه تعالى واحد فى أفعاله فليس لأحد فعل كفعله تعالى فهو الفاعـــل الحقيقى فهو الخالق والرازق والمحى والمميت .

هذا ويفرق العلماء بين الواحدية والأحدية فيرون أن
معنى الواحدية : هو عدم تعدد أفراد الذات .
أما معنى الأحدية: فهو عدم تركيب الذات من أجزاء .

الدليل على الأحدية

الدليل النقلى :

قوله تعالى (قل هو الله أحد) (١)

الدليل العقلى :

١ـ انه تعالى لو كان مركبا من اجزاء لكان محتاجا الى هذه الاجزاء التى تركب منها ، والجزء باعتباره جزء ليس نفس الكل بل غيره وكونه محتاجا الى الغير باطل لانه قد ثبت انه تعالى غير محتاج الى الغير .

٢ ـ لو كان تعالى مركبا من اجزاء فان كل جزء من اجزائه اما ان يكون واجبا فيتعدد الواجب وهذا باطل وإما ان يكون ممكنا فيحتاج الواجب تعالى الى الممكن واذا احتاج الواجب الى الممكن كان أولى منه بالامكان وهذا باطل ايضا .

٣ـ لو كان تعالى مركبا من اجزاء فاما ان تحتاج اجزاؤه بعضها الى بعض فيكون كل جزء منها ممكن ،لان المحتاج الى الغير ممكن ويلزم من ذلك إمكان الواجب تعالى وهو باطل .

وإما الا تحتاج اجزاؤه بعضها الى بعض فلا يلتئم منها حقيقة واحدة كالحجر الموضوع بجانب شجره فلا يلتئم منها حقيقة واحدة . وهو باطل .

---

(١) سورة الاخلاص آيه ١

الدليل على الواحدية

الدليل النقلى :

قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (١)

وقوله تعالت قدرته (قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذن لابتغوا الى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) (٢)

وقوله عز وجل (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) (٣)

الدليل العقلى :

لو وجد الهان فاما أن يتفقا واما أن يختلفا . فان اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد شئ من العالم والآخر اعدامه .

فإما ان ينفذ مرادهما معا فيلزم إجتماع النقيضين وهو باطل .

واما أن لا ينفذ مرادهما معا فيلزم من ذلك عجزهما وعجز الاله باطل .

واما أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر فيلزم عجز من لم ينفذ مراده ويكون الذى نفذ مراده الاله .

وإن اتفقا ، فإما ان يتفقا على أن يوجداه معا بأن يكون كل جزء فيه موجود بقدرتهما معا وهو باطل لانه يلزم عليه إجتماع مؤثرين أثر واحد .

وإن اتفقا على أن يوجده أحدهما أولا ثم يوجده الاخر فذلك ايضا باطل لما يلزم من تحصيل الحاصل .

(١) سورة الأنبياء آيه ٢٢

(٢) سورة الاسراء آيه ٤٢ ، ٤٣

(٣) سورة المؤمنون آيه ٩١

وإما أن يتفقا على أن يوجد أحدهما البعض ويوجد الثاني البعض الاخر .
وفي هذه الحاله ان أوجد أحدهما البعض وكان الثاني قادرا عليه كان ذلك محال لإستحاله إيجاد الموجود .

وإن لم يكن قادرا عليه فحينئذ يكون الذي أوجد هذا البعض قد سد على الاخر طريق تعلق قدرته به فيكون مقهورا فلا يكون الها .
وما قيل في البعض الاول يقال في الآخر .

كما أن اختصاص أحدهما بالبعض دون البعض الآخر تخصيص من غير مخصص لأنه ليس اختصاص أحدهما بالبعض أولى من اختصاص الآخر به فإن كان هناك مخصص غيرها خص كلا منهما بما أختص به لزم ان يكون هو الاله وأنهما عاجزان .
وإن كان التخصيص بإختيارهما جاز لكل منهما أن يترك البعض الذي اختص به ويتصرف في مقدور الآخر لان الفاعل بالاختيار هو الذي يتأتى منه الفعل والترك لكن جواز ترك أحدهما فعله وتصرفه في مقدور الآخر باطل فالتخصيص باختيارهما باطل .
فثبت إذن إستحاله وجود الهين خالقين للعالم بالإتفاق .

هذا على أن فرض الاتفاق أنما هو تجويز عقلي فقط وفي الحقيقة انه لا يمكن الاتفاق بين الإلهين أبدا بل لابد من الإختلاف بينهما كما أشار الى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (١)

---

(١) سورة الانبياء آيه ٢٢

أى لم توجد السموات والارض لأن مرتبة الالوهية تقتضى التفرد بالسلطان المطلق والسيطرة على كل شئ فلو فرض وجود إلهين لما أمكن الإتفاق بينهما بل لابد من التنازع بينهما ضرورة أن كل منهما يدافع عن سلطانه فلا يوجد شئ من العالم نتيجة لهذا التصارع .

قال تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)

ثالثا : صفات المعانى

وهى المعنى الوجودى القائم بالموصوف وهى سبع صفات
القدرة ، العلم ، الحياة ، الإرادة ، السمع ، البصر ، الكلام .

وتذهب المعتزلة إلى أن هذه الصفات الإيجابيه التى هى العلم والقدرة والحياة ...
عين الذات الالهيه .

فالمعتزلة يقولون بنفى صفات قديمة لله تعالى زائدة على ذاته لان اثبات الصفات
القديمة له (تعالى) يؤدى إلى إيجاد قدماء مع الله تعالى وهذا ينافى التوحيد .

وحجة المعتزلة على رأيهم هذا هو انه لو جاز أن يكون (العلم) مثلا صفة قائمة بذات
البارى تعالى فإما ان تكون هذه الصفه أزليه كالذات ، وإما أن تكون حادثة ، فإذا كانت
أزلية فكيف يمكنها ان تحل فى الذات ؟
وإذا حلت فيها كان هناك أزليان .
وإذا كانت حادثة وحلت فى الذات ، تكون الذات قد تغيرت من حال (عدم العلم) الى حال
(العلم) والتغير دليل الحدوث ، فتكون الذات حادثة فى صفاتها ، وهذا مالا يتفق وكماله
تعالى .

ويجمع الأشاعرة على أن قدرة الله تعالى وعلمه وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه
صفات أزلية ، كما يجمعون أيضا على ان الله تعالى حى بحياة ، وقادر بقدرة ، وعالم بعلم
ومريد بإرادة ، وسامع بسمع لا بأذن ، وباصر ببصر هو رؤيه لا عين ، ومتكلم بكلام لا من جنس
الاصوات والحروف ، واجمعوا على ان هذه الصفات السبع أزلية وسموها قديمة .

وللأشاعرة بعض النقد على آراء المعتزلة في صفات الله تعالى ، فالمعتزلة نفت جميع الصفات الازلية فزعمت كما يقول الأشعري في الإبانة أن الله (عز وجل) لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ، وأرادوا أن ينفوا أن الله عالم قادر حي سميع بصير فمنعهم خوف السيف من اظهارهم نفي ذلك فأتوا بمعناه لانهم اذا قالوا لا علم لله ولا قدرة له فقد قالوا

انه ليس بعالم ولا قادر ووجب ذلك عليهم ، وهذا انما اخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل لأن الزنادقة قال كثير منهم أن الله ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير ، فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك فأتت بمعناه وقالت ان الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسميه من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر .

ويورد الشهرستاني أن الأشعري يرى أن الله (تعالى) له صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جحدها ، وكما دلت الأفعال على كونه عالما قادرا مريدا ، دلت على العلم والقدرة والإرادة لان وجه الدلالة لا يختلف شاهدا أو غائبا ، وأيضا لا معنى للعالم حقيقة الا أنه ذو علم ، ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة ولا للمريد إلا أنه ذو إرادة ، فيحصل بالعلم الإحكام والإتقان ، ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث ، ويحصل بالارادة التخصيص بوقت دون وقت وشكل دون شكل وهذه الصفات لن يتصور أن يوصف بها الذات الا وأن يكون الذات حيا بحياة .

كما أورد الشهرستاني الإلزام الذي ألزمه الأشعري للمعتزلة في قوله انكم وافقتمونا بقيام الدليل على كونه عالما قادرا . فلا يخلو اما أن يكون المفهومان من الصفتين واحدا أو زائدا ، فان كان واحدا فيجب ان يعلم بقادريته ويقدر بعالميته ، ويكون من علم الذات مطلقا علم كونه عالما قادرا ، وليس الامر كذلك فعلم أن الاعتبارين مختلفان . فلا يخلو اما أن يرجع الاختلاف الى مجرد اللفظ أو الى الحال أو الى الصفه ، وبطل رجوعه الى اللفظ المجرد فان العقل يقضي باختلاف مفهومين معقولين ، ولو قدر عدم الألفاظ رأسا ما أرتاب العقل فيما تصوره ، وبطل رجوعه الى الحال ، فان إثبات صفة لا توصف بالوجود ولا بالعدم إثبات واسطه بين الوجود والعدم ، والاثبات والنفي محال ، فتعين الرجوع الى صفة قائمة بالذات .

وبعد أن عرضنا موقف الأشاعرة من رأى المعتزلة فى الصفات جملة سوف نتحدث عن كل صفة فيما يلى موضحين معناها والدليل عليها ٠

صفة القدرة

معناها

هى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه على وفق علمه تعالى وإرادته —

وقدرة الله تتعلق بالممكن ولا تتعلق بالواجب والمستحيل، فهى تتعلق بالممكن لأنها صفة تؤثر فى الأشياء الوجود أو العدم ، والذى يقبل الوجود تاره والعدم تاره أخرى هو الممكن ٠

أما عن عدم تعلقها بالواجب فلان الواجب هو الثابت الذى لا يقبل العدم لذاته ابدا فلو تعلقت به لتوجده كان فى ذلك تحصيل حاصل وهو محال ٠

وإن تعلقت به لتعدمه وهو الثابت الذى لا يقبل العدم لذاته ابدا كان فى ذلك قلب لحقيقه الواجب وهو محال فاستحال اذن تعلقها بالواجب ٠

أما عن عدم تعلقها بالمستحيل فلان المستحيل هو المعدوم الذى لا يقبل الثبوت لذاته أبدا فان تعلقت به لإيجاده كان فى ذلك قلب للحقائق وهو محال وإن تعلقت به لإعدامه وهو المعدوم كان ذلك تحصيل حاصل وهو محال فاستحال اذن تعلقها بالمستحيل ٠

وللقدرة تعلقات سبعة

تعلق صلوحى قديم وهو صلاحيتها فى الازل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال .
تعلقات (القبضة الثلاث) أى أن الممكن فى قبضة القدرة إن شاء ابقاه على عدمه أو على وجوده ، وإن شاء أعدمه أو أوجده وهى:

١ ـ تتعلق بعدمنا فيما لا يزال قبل وجودنا .

٢ ـ تتعلق باستمرار الوجود بعد العدم .

٣ ـ تتعلق باستمرار العدم بعد الوجود .

وايضا تتعلق:

١ ـ بايجادنا بالفعل بعد العدم السابق .

٢ ـ وتتعلق باعدامنا بالفعل بعد الوجود .

٣ ـ وبايجادنا بالفعل حين البعث .

وهى تتعلق فى الثلاثة الأخيرة تعلقا تنجيزيا حادثا .

ومن هذه التعلقات يتضح ان القدرة صالحة لإيجاد أو إعدام كل ما يقبل الوجود والعدم سواء أوجدته بالفعل أو لم توجده .

الدليل على القدرة

الدليل النقلى :

قوله تعالى (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير) (١)

وقوله عز وجل (ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير) (٢)

---

(١) سورة الملك آيه ١

(٢) سورة آل عمران آيه ١٨٩

الدليل العقلى :

١ـ لو لم يكن الله تعالى قادرا لكان عاجزا ، ولو كان عاجزا لما وجد شئ من هذا العالم ، لكن عدم وجود شئ من العالم باطل بمشاهدة وجوده ، فوجب اتصافه جل وعلا بالقدرة .

٢ـ أنه قد ثبت أنه تعالى خالق للعالم وموجد له من العدم والله تعالى خالق ومتصف بالقدم ، والعالم مخلوق وحادث ، ولا يتصور وجود المخلوق الحادث عن الخالق القديم الا اذا كان هذا الخالق متصفا بالقدرة .

صفة العلم

معناها

هى صفة وجودية أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق إحاطة وانكشاف دون سبق خفاء أو جهل .

الدليل عليها

الدليل النقلى :

قوله تعالى (انه عليم بذات الصدور) الملك آية ١٣

وقوله جلت قدرته (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك آية ١٤

وقوله عز وجل (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها لا هو ويعلم ما فى البر والبحر ..)

الدليل العقلى :

ثبت بالدليل أن جميع الكائنات حادثة وأن محدثها هو الله سبحانه ، ولقد اشتملت هذه الكائنات على نظام بديع وصنع عجيب .. وكل فعل هكذا شأنه يدل على أن فاعله عالم ،

احاطه علمه تعالى بجميع الأشياء

لا شك أن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء واجبها وجائزها ومستحيلها موجودات كانت هذه الأشياء أو معدومات إحاطه تامة بما هى عليه وما كانت عليه وما ستكون عليه أن كان التغيير سيعتريها والدليل على إحاطه العلم :
نقلا : (وأن الله قد احاط بكل شئ علما) .

وعقلا : أن العقل يحكم بأن العلم الشامل لازم لذاته تعالى،فإن جهله ببعض ما فى الكون ينافى هيمنته عليه وخلقه اياه وقد اثبتنا انه خالق العالم بالدليل فدل ذلك على تمام علمه وشموله لجميع الأشياء .

وعلم الله تعالى محيط بكل شئ ولذلك فهو يتعلق بالواجب والمستحيل والجائز تعلق انكشاف .

وللعلم تعلق واحد : (تنجيزى قديم) وهو تعلق العلم أزلا بالواجب والجائزات والمستحيلات تعلق إحاطة وانكشاف دون سبق خفاء أو جهل هذا ،وعلم الله لا يصح أن يوصف بأنه كسبى أى مكتسب لان العلم المكتسب هو العلم الحاصل عن النظر والاستدلال وهذا يكون مسبوقا بالجهل ،والجهل على الله محال .

أما ما ورد مما يوهم مثل هذا العلم المكتسب فى جانب الله فمؤول مثل قوله تعالى (ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا)
فليس معناها لندرك مالم نكن نعلم ،ولكن ليظهر لهم متعلق علمنا أى (النعلم)

صفه الحياة

معناها

هى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضى للمتصف بها صحة الإتصاف بالعلم والقدرة والإرادة ، وذلك لانه لا يمكن أن يتصف الشئ بالعلم والقدرة والإرادة إلا اذا كان حيا . ومعنى إتصافه تعالى بالحياة ، أن حياته تعالى تختلف عن حياتنا ، فحياته تعالى كاملة لا يعلم حقيقتها الا الله كسائر صفاته تعالى ، وهى غير مسبوقه بعدم أو مدركه بفناء فهى من الأزل والى مالانهايه .

أما حياه كل الموجودات فهى مستمده منها .

الدليل عليها

الدليل النقلى

قوله تعالى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) (١)

وقوله عز وجل (وتوكل على الحى الذى لا يموت) (٢)

الدليل العقلى :

هو انه لو لم يكن سبحانه حيا ماجاز إتصافه بصفات القدرة والعلم وغيرها من الصفات لكن ثبت إتصافه بهذه الصفات بالدليل . فوجب إتصافه تعالى بالحياة .

(١) سورة البقرة آيه ٢٥٥

(٢) سورة الفرقان آيه ٥٨

صفة الارادة

معناها

هى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يخصص الله بها الممكن ببعض ما يجوز عليه من لأمور المتقابلة ٠

الدليل عليها

الدليل النقلى :

قوله تعالى (إن ربك فعال لما يريد) (١)

وقوله جلت قدرته (انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٢)

الدليل العقلى :

هو انه تعالى لو لم يكن مريدا لخلق جميع الممكنات التى وقعت ،وتقع لكان مكرها مقهورا على فعلها ،فلا يكون متمكنا من الفعل والترك ويكون عاجزا عن دفع ما يقهره ،ولو كان كذلك لما وجدت هذه الكائنات ،ولكن عدم وجودها باطل بالمشاهدة ،فوجب إتصافه تعالى بصفة الإرادة ٠

الفرق بين الإرادة والأمر والرضا

الإرادة : هى صفة تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة ٠

أما الأمر : فهو طلب الفعل كالأمر بالصلاة ٠٠٠٠

(١) سورة هود آيه ١٠٧

(٢) سورة يس آيه ٨٤

أما الرضا : فهو قبول الشئ من صاحبه والإطمئنان اليه ،وقبول العمل من عامله بدون اعتراض عليه ،والله لا يقبل من الكفار ولا المشركين أعمالهم ولا يرضى عن أفعالهم بل ينكرها عليهم ويؤاخذهم على مافعلوا مع انه هو الذى أراد منهم ذلك العمل ولذلك وقع الفعل وحدث منهم قال تعالى (وماتشاؤن إلا ان يشاء الله) وقال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) وقال جل شأنه(ان الله لا يأمر بالفحشاء).

وبناء على ذلك

---

(١) يأمر الله بالشئ ويريده كايمان المؤمن .

(٢) لا يأمر به ولا يريده كالكفر من المؤمن .

(٣) يأمر ولا يريد كايمان الكافر .

(٤) لا يأمر ويريد ككفر الكافر .

وبهذا يتضح أن الإرادة تغاير الأمر

والإرادة تتعلق بالممكن دون الواجب والمستحيل .

أما أنها تتعلق بالممكن فلأنها صفة ترجح وجود الشئ على عدمه والعكس ،والذى يقبل أن يترجح وجوده على عدمه هو الممكن .

والإرادة لا تتعلق بالواجب لان الواجب هو الثابت الذى لا يقبل العدم ابدا لذاته ، فالإرادة لو تعلقت بالواجب لتوجده وهو الوجود كان ذلك تحصيل للحاصل وتحصيل الحاصل محال .

وان تعلقت بالواجب لتعدمه وهو الذى لا تقبل ذاته العدم كان فى ذلك قلبا للحقائق وقلب الحقائق محال كذلك .

وكذلك يستحيل تعلقها أى الإراده بالمستحيل لانها إن تعلقت بالمستحيل لإيجاده
وهو المعدوم الذى لا يقبل الثبوت أصلا لذاته كان فى ذلك قلب لحقيقته وقلب الحقائق
محال وان تعلقت به لتعدمه وهو المعدوم الذى لا يقبل الثبوت اصلا لذاته كان فى ذلك
تحصيل للحاصل وتحصيل الحاصل محال •
اذن فتعلق الإرادة بالمستحيل مستحيل •

فالإرادة اذن لا تتعلق الا بالممكن •ولها بالممكن تعلقان •
١ـ تعلق صلوحى قديم : وهو صلاحيتها فى الأزل لتخصيص كل ممكن بأى أمر من الأمور المتقابله الجائزه عليه
٢ـ تعلق تنجيزى قديم : وهو تخصيص الإرادة فى الأزل كل ممكن ببعض ما يجوز عليه بدل البعض الآخر •

ومن هذا يتضح لنا أن الله فاعل مختار لكل ما كان وما يكون

صفة السمع

معنى صفة السمع
سمع الله : صفة وجودية قائمة بذاته تعالى تنكشف بها الموجودات إنكشافا تاما يغاير الإنكشاف بصفتى العلم والبصر •
ومعنى هذه الصفة ان الله يسمع كل ترددة الألسن دون أن يشغله سماع عن سماع فلا يشغله سماع زيد عن سماع عمرو مثلا ودون أن تشتبه عليه اللغات أو يؤثر فى سماعه إياها ضجيج وهو سبحانه لا يسمع بجارحه • ويجب الاعتقاد بأن الإنكشاف بالسمع غير الإنكشاف بالبصر وأن كل منهما غير الإنكشاف بالعلم ولكل حقيقته يفوض علمها لله تعالى وليس الأمر على ما نعهده من أن البصر يفيد بالمشاهده وضوحا فوق العلم بل جميع صفاته تامة كاملة يستحيل عليه الخفاء والزياده والنقص •••• الى غير ذلك •

الدليل عليهـا

الدليل النقلى :

قوله تعالى (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ...) (١)

وقوله تعالى (لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى) (٢)

الدليل العقلى :

لولم يتصف بالسمع لاتصف بضدها وهو الصمم ،والصمم نقص والنقص عليه تعالى محال ، فوجب إتصافه تعالى بصفه السمع والدليل على أن صفة السمع صفة كمال من تعرى منهـا يكون ناقصا .

ان ابراهيم عليه السلام اتخذ من فقد السمع موطن ذم للاصنام حين نددبها لقومـه العابدين لها فقال (هل يسمعونكم اذ تدعون) (٣)

صفه البصـر :

معناها :

هى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى . بها تنكشف جميع الموجودات انكشافا تامـا يغاير الإنكشاف بصفتى العلم والسمع .

ومعنى هذه الصفة فى جانب الله سبحانه أن الرؤية الالهية تستوعب من جميع الجهات فى وقت واحد وانها غير محجوبة بظلام أو ببعد مسافة أو بساتر مادى أو بغيره مهما كـان كما أنها ليست محدودة بجهة دون جهة أخرى فالله يرى المخلوقات جميعها فى وقـت واحد لا تشغله رؤية ولا يمنعه ساتر أو حجاب ،كما ان رؤيته ليست بآله مثلنا والا كـان مماثلا للحوادث وقد انتفى ذلك بالدليل .

(١) سورة المجادله آيه ١

(٢) سورة طه آيه ٤٦

(٣) سورة الشعراء

الدليل عليهــا

الدليل النقلي :
قوله تعالى (والله بما تعملون بصير) (١)
وقوله جلت قدرته (له غيب السموات والارض أبصر به واسمع) (٢)

الدليل العقلي :
انه تعالى لو لم يتصف بالبصر لاتصف بضده وهو العمى ،والعمى نقص ،والنقص محـــال عليه تعالى ،فثبت بذلك إتصافه بالبصر .

صفة الكلام

معناها
اختلف أهل الملل والمذاهب في معنى كلامه تعالى .
فعرفه أهل السنة بأنه صفة أزلية قائمة بذات البارى تعالى ليست بحروف ولا أصـــوات ، منزهة عن الترتيب والتقديم والتأخير ،منزهة عن السكوت النفسي ، وعن الآفة الباطنيـــة كالخرس ،وهي أمره ونهيه وخبره ووعده ووعيده ،وانه غير مخلوق ولا محدث ولا حادث .

وعرفه الحنابلة والحشوية بأنه الحروف والاصوات المتتالية المترتبة ويزعمون أنها قديمه.

وعرفه المعتزلة بأنه الحروف والاصوات الحادثة ثم قالوا انها غير قائمة بذاته تعالــى ثم وضحوا معنى كونه متكلما انه خلق الكلام في بعض الاجسام ،ولذلك فهم يؤولون قولـــه تعالى (وكلم الله موسى تكليما) بأنه خلق الكلام في الشجرة .

(١) سورة التغابن آيه ٢

وهذا الرأى مردود ،بأن التأويل لا داعى له هنا وانما خلق الله تعالى فى موسى عليه السلام القدرة على فهم كلامه النفسى .

فالكلام النفسى ثابت لغة كما فى قول الأخطل : إن الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا .

والله تعالى متكلم بهذه الصفة آمر ناه ،مخبر ،فهى صفة واحدة ،لكن لها أقسام اعتبارية . فمن حيث تعلقه بطلب الفعل فهو أمر ،ومن حيث تعلقه بطلب الترك فهو نهى .... وهكذا .

والدليل على أن كلام الله تعالى صفة أزلية لا محدثة هو أن كلامه ليس بحدث ،لانه لو كان حادثا لم يجز حدوثه فيه لاستحالة كونه محلا للحوادث ،ويستحيل حدوثه لا فى محل ،لان العرض لا يكون الا فى محل ،ولو حدث كلامه فى جسم من الاجسام لكانت الاسماء الصادرة من خصوص أوصاف الكلام راجعة الى محله ،فكان محله آمرا وناهيا ، مخبرا ،كالحياة والقدرة اذا حدثت فى محل ،كان المحل بها قادرا عالما حيا ،فاذا استحال أن يأمر وينهى بكلام الله غيره صح أن كلامه أزلى قائم به لا بغيره .

وكلام الله يطلق على الكلام النفسى القديم ،بمعنى انه صفة قائمة بذاته تعالى ،وعلى الكلام اللفظى بمعنى انه خلقه وليس لأحد فى أصل تركيبه كسب .

وعلى هذا فالقرآن الكريم يطلق بإطلاقين :

١ـ يطلق ويراد به الكلام النفسى القائم بذاته تعالى وهو بهذا المعنى قديم ،فيقال حينئذ القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق .

٢- ويطلق القرآن ويراد به المكتوب فى المصاحف المقروء بالألسنه المسموع بالاذان ، وهو بهذا المعنى مخلوق .

ومع انه يجوز إطلاق لفظ الخلق والحدوث على القرآن المتلو بألسنتنا،الموجود فى مصاحفنا ،والمشتمل على الحروف والمخارج ،فانه لا يصح إشاعة ذلك للعامة ،وإنما يقال ذلك للخاصة فقط فى مقام التعليم والتوضيح .

الدليل على اثبات صفة الكلام له تعالى :

الدليل النقلى :

قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) (١)

وقوله عز وجل (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ،منهم من كلم الله ،ورفع بعضهم درجات) (٢)

الدليل العقلى :

١- انه تعالى لو لم يتصف بصفة الكلام لاتصف بضدها ،وضدها نقص ،والنقص محال على الله تعالى ،فثبت كونه تعالى متكلما .

٢- اجماع الامة على انه تعالى متكلم آمر عباده بالطاعة وناه لهم عن المعصية ،ولا معنى لثبوت الامر والنهى الا ثبوت صفة الكلام لله تعالى .

---

(١) سورة النساء آيه ١٦٤

(٢) سورة البقره آيه ٢٥٣

المبحث الثالث : مسألة خلق الأفعال

تعتبر مسألة خلق الأفعال من أهم المسائل التى شغلت فكر المعتزلة حيث أنها ترتبط بالكلام عن حرية الإرادة الانسانية وان الإنسان هو الخالق لأفعاله حتى يتحقق العدل الإلهى فى الثواب ٠

فذهبت إلى أن أفعال العباد محدثة ، فعلها فاعلوها ولم يخلقها الله عز وجل ويقولون أنهم يخترعون أفعالهم ويخلقونها ، وأنه ليس لله عز وجل فى أكسابهم صنع وتقدير ٠

أدلة المعتزلة على ماذهبوا اليه

قد ذكرت المعتزلة أدلة عقلية وأدلة سمعية على إثبات قدرة العبد ٠

ا- الأدلة العقلية على إثبات قدرة العبد على خلق أفعاله الإختيارية :

انه يلزم على القول بخلق الله تعالى لأفعال العباد إرتفاع المدح والذم ، والثواب والعقاب ، ويلزم أيضا قبح بعثة الانبياء ، ويلزم أيضا أن يكون هو فاعل القبائح ، لأنه إذا كان خالقا لافعال العباد وفيها القبائح لزم أن يكون فاعلا للقبائح ٠

يرون أيضا انه مما يدل على انه تعالى لا يجوز أن يكون خالقا لأفعال العباد هو أن فى أفعال العباد ما هو ظلم وجور ، فلو كان الله تعالى خالقا لها لوجب أن يكون ظالما جائرا ٠

ب- الادلة السمعية على انه تعالى لا يجوز أن يكون خالقا لأفعال العباد :

استدل المعتزلة على انه تعالى لا يجوز أن يكون خالقا لأفعال العباد بأدلة من القرآن الكريم ليدلوا على أن أدلة الكتاب الكريم موافقه لأدلة العقل ومقررة له فمنها :

١- قوله تعالى (.. صنع الله الذى اتقن كل شئ ...) النمل آية ٨٨
ترى المعتزلة أن الله تعالى يبين فى هذه الآية أن أفعاله كلها متقنة ، ومعلوم أن فى افعال العباد ما يشتمل على ماليس بمتقن ، إذن فلا يجوز أن يكون الله تعالى خالقا لها .

٢- واستدلوا أيضا بقوله تعالى (جزاء بما كانوا يعملون) الاحقاف آية ١٤
وقوله (جزاء بما كانوا يكسبون ..) (١) وقوله (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) ( )
ترى المعتزله أن هذه الآيات تدل على أننا نعمل ونصنع ، والا كان هذا الكلام كذبا
وكان الجزاء على مايخلقه فينا قبيحا .

٣- استدلوا ايضا بقوله تعالى (.. فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..) ( )
ترى المعتزلة ان فى هذه الآيه فوض الله تعالى الأمر فى الإيمان الى اختيارنا ، فلولا أن الكفر والايمان متعلقان بنا ، لما كان لهذا الكلام معنى ، كمن قال فمن شاء فليسود ومن شاء فليبيض ، ومعلوم أن ذلك سخف لان الاسوداد والابيضاض غير متعلقين بنا .

رأى الأشاعرة فى مسألة خلق الأعمال (القضاء والقدر)

معنى القضاء عند الأشاعرة :
هو إرادة الله الأشياء فى الأزل على ما هى عليه فيما لا يزال فهو من صفات الله الذاتيه وهو قديم .

أما القدر :

فهو عندهم ايجاد الله الاشياء على قدر مخصوص ووجه معين حسب إرادة الله تعالى وهو من الصفات الفعليه وهو حادث . أي ان القضاء في الأزل ،والقدر فيما لا يزال .

والفرق بينهما :

أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة ،والقدر وجودها متفرقه في الأعيان بعد حصول شروطها .

وبناء على تعريفهم هذا للقضاء والقدر نجد أن أعمال العباد عندهم هي من خلق الله (تعالى) ،وقد أقدرهم عليها بخلق قدرة محدثه فيهم ،وهي المراده بالكسب ، فالفاعل هو الله تعالى .

تعريف الكسب عند الأشاعرة

ويعرف الأشعري الكسب بأن الله تعالى أجرى سنته بأن يحقق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها الفعل الحاصل اذا إراده العبد وتجرد له ،ويسمى هذا الفعل كسبا ،فيكون خلقا من الله تعالى إبداعا وإحداثا وكسبا من العبد حصولا تحت قدرته .

أو بتعبير آخر (الكسب هو تعلق قدرة العبد وإرادته بالفعل المقدور المحدث من الله تعالى على الحقيقة)

والدليل عندهم على أن للإنسان قدرة واختيار متمثلة في الكسب ما يقوله الأشعري : (والعبد قادر على أفعاله اذ الانسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشه ،وبين حركات الاختيار والإرادة ،والتفرقه راجعة الى أن الحركات الاختياريه حاصله تحت القدرة ،متوقفة على اختيار القادر)

وهنا نجد الأشعرى يحاول أن يقيد القدرة ويجعلها مخلوقه لله تعالى ،فالعبد ليس خالقا لافعاله بقدرته بل لقدرته أثر متمثل فى الكسب .

الأدلة التى استدل بها الأشاعرة على أن أعمال العباد مخلوقه لله تعالى

أولا : الأدلة النقلية للأشاعرة على أن أعمال العباد مخلوقه لله تعالى .

١ـ يستدل الأشاعرة على مذهبهم بأن أعمال العباد مخلوقه لله تعالى بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون)(١) فيرون أن هذا نص صريح فى ان الله تعالى خالق لعبده وما فعل .

٢ـ قوله تعالى (ذالكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ ..) (٢) فيرون أن الآية تتضمن التمدح بالاختراع والإبداع والتفرد بخلق كل شئ ،فلو كان غيره خالقا مبدعا لانتفى التمدح بالخلق ،وليس للعبد أن يتمدح بأنه خالق كل شئ ،ومراده انه خالق لبعض المخلوقات .

٣ـ قوله تعالى(..فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ...) (٣) فلو كان لغيره خلق على الحقيقة لبطل تحقيق هذه المطالبه ،ولم يكن لهذا الانكار عليهم حقيقة .

الأدلة العقلية للأشاعرة على خلق الله أعمال العباد :

استدل الأشاعرة على خلق الله أعمال العباد بأدلة عقلية منها :

١ـ قالوا لو قلنا أن العبد يخلق أفعاله من طاعه أو معصية أو إيمان أو كفر فقد شركنا بين الله تعالى وبيننا فى الخلق ،وأن خلقه لا يتم الا بخلقنا ،ذلك لان الجسم لا يخلو

(١) سورة الصافات آيه ٩٦ (٢) سورة الانعام آيه ١٠٢

(٣) سورة لقمان آيه ١١

من حركة او سكون أو كفر أو إيمان أو طاعة أو معصية ، فصح أن جميع الذوات مشتركه الخلق بين العبد والرب وانه لا يتم خلق أحدهما الا بمخلوق الآخر وهذا شرك ظاهر ٠

٢- قالوا أيضا أن فيه خلق المعرفة والطاعات للعبد تؤدى الى جعله أفضل فى الخلق من الله فيذكرون أن خلق المعرفة والطاعات والقربات أحسن من خلق الأجسام وأعراضها التى ليست من قبيل الطاعات فلو اتصف العبد بخلق المعارف لكان أحسن خلقا من ربه ، ولكان أولى بإصلاح نفسه وإرشادها وإنقاذها من الغى والمعاصى من ربه ومن زعم ان العبد أصلح لنفسه من ربه فقد راغم اجماع المسلمين وفارق الدين ٠

٣- لو كان العبد موجدا لأفعاله لكان عالما بتفاصيلها لكنه غير عالم بالتفاصيل فهو اذن غير موجد لها ٠

رد أدلة المعتزلة

رد الدليل النقلى الذى استدل به المعتزلة على إثبات قدرة العبد على خلق أفعاله الإختيارية بالآيات التى تسند العمل الى الله عز وجل ، فدفعا للتعارض تؤول الآيات فيقال أن العمل قد أسند الى العبد لأنه الكاسب له ، ولأنه محل ، كما أسند الى الله تعالى لأنه الخالق المؤثر ٠

كما رد الدليل العقلى الذى استدل به المعتزلة على اثبات قدرة العبد على خلق أفعاله الاختيارية بأن الثواب والعقاب والمدح والذم ٠٠٠٠ انما يكون على الكسب وليس على الايجاد ٠

مذهب الجبرية

ذهبت الجبرية الى أن افعال العباد كلها مخلوقة لله سبحانه وتعالى وليس للعبد فيها كسب ولا اختيار فهو مجبور كالريشة المعلقة فى الهواء تحركها الرياح كما تشاء ٠

ادلة الجبرية على مذهبهم وردها

الدليل النقلى :

قوله تعالى (الله خلقكم وما تعملون) الصافات آية ٩٦

وقوله تعالى (الله خالق كل شئ)

الدليل العقلى :

قالوا ان فعل العبد سبق به علم الله وكل ما سبق به علم الله لابد من وقوعه اذن فعل العبد لابد من وقوعه ٠

رد أدلة الجبرية

رد الدليل النقلى بأن هذه الآيات تعارض الآيات التى تثبت للعبد عملا كقوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)٠

كما رد دليلهم العقلى بأن العلم صفة انكشاف لا صفة تأثير وبذلك ترفض المقدمه الثانيه وهى (وكل ما سبق به علم الله لابد من وقوعه) فيسقط بذلك الدليل ٠

هكذا نجد ان الجبرية قد أفرطوا حيث نسبوا الأعمال كلها لله ، والمعتزلة فرطوا حيث نسبوا الأعمال كلها للعبد ، وتوسط الأشاعرة عندما جعلوا الافعال لله تعالى وللعبد فيها كسب ، وخير الأمور أوساطها وبهذا يكون مذهبهم هو المذهب المختار ٠

الفصل الثاني : الايمان والاسلام

تعريف الايمان عند الأشاعرة

يعرف الأشعري الايمان بأنه هو التصديق بالله (تعالى) بدليل اجتماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن الكريم على ذلك وأيضا يستدل الأشعري على مذهبه في الايمان ، وأنه التصديق بالله تعالى بآيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ...) [1] وقوله تعالى (بلسان عربي مبين) [2] فيرى الأشعري انه لما كان الايمان في اللغة التي أنزل الله تعالى بها القرآن الكريم هو التصديق حيث قال تعالى (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) [3] أي بمصدق لنا ، وجب أن يكون الايمان هو ما كان عند أهل اللغة ايمانا وهو التصديق .

أما في الشرع فهو التصديق للرسول (صلى الله عليه وسلم) فيما علم مجيئه به ضرورة ، فتفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا .

ويرى الأشعري أن الايمان له ثلاثة أركان هي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالأركان ، واذا كان الايمان تصديقا بالقلب ، فالقول باللسان والعمل بالاركان فروعه .

---

(١) سورة ابراهيم آيه ٤
(٢) سورة الشعراء آيه ١٩٥
(٣) سورة يوسف آيه ١٧

أدلة الأشاعرة على مذهبهم فى تعريف الإيمان

يستدل الأشاعرة على مذهبهم فى الإيمان بأنه التصديق بالقلب وهو الركن الاعظم ، اذ الإقرار باللسان يعبر عنه بأنه ورد بالتواتر المفضى الى اليقين ان النبى (صلى الله عليه وسلم) ،لما ظهرت دعوته دعا الناس الى كلمتى الشهاده (لا اله الا الله محمد رسول الله) ولم يرض منهم مجرد القول بالشهاده مع إضمار خلافه فى القلب اذ ذلك نفاقا كما فى قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) البقره آية ٨

وأيضا كما لم يرض النبى (صلى الله عليه وسلم) منهم مجرد القول مالم تقترن به عقيدة ، لم يكلف جميع الخلق معرفة الله (تعالى) كما هو ،لان ذلك غير مقدور للخلق ،فلم يكلف إلا أن يعرف أنه لا إله إلا الله ،وتكون معرفته مستنده الى دليل جلى كما ورد فى التنزيل فثبت القول والعقيدة مصدرا ومظهرا ،وقد يكتفى بالمصدر فى القلب اذا لم يقتدر على الإتيان بالاقرار باللسان لكن فى حكم الله (تعالى) الإشارة فى حق الآخرين تنزل منزلة العبارة فى حق الناطق ،وقصة الخرساء التى اعتقها فانها مؤمنة دليل على صحة ما ذكر من انه قد يكتفى بالمصدر فى القلب اذا لم يقتدر على الإتيان بالإقرار .

وأيضا لو كان الإيمان هو القول لما كان المكلف مؤمنا حقيقة إلا حال التلفظ بالشهادتين لإنقضاء القول بعدهما ،بخلاف التصديق فإنه باق فى القلب حتى حال النوم والغفلة حتى يطرا ضده وهو الكفر .

أما العمل فقد رفضت الأشاعرة قول كلا من المرجئة والوعيدية ،اذ المرجئة قالت بارجاء العمل كله عن القول والعقيدة ،وانه لم يضير العبد إن لم يأت بطاعة واحدة ،وهذا يرفع معظم التكاليف من الأوامر والنواهى ويفتح باب الإباحه .

أما قول الوعيدية بكونه ركنا من الأركان وأن العبد يخلد فى النار إذا فعل الكبيرة وانه يسلب منه اسم الايمان اذا ترك طاعة واحدة ، فيرفع معظم النصوص من الكتاب الكريم والسنة الشريفة والاخبار ، ويغلق باب الرحمة ويفضى الى اليأس والقنوط ، والقرآن الكريم قد فرق بين لفظ الإيمان والعمل كما فى قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...) (١) فالإيمان له حقيقة والعمل له حقيقة غير الإيمان كما خاطب الفاسقين بخطاب المؤمنين (ياأيها الذين آمنوا لا تفعلوا ...) اذ لو كان الايمان هو العمل بعينه ، أو كان العمل ركنا مقيما بحقيقة الإيمان لما ميز بهذا التمييز ، وأيضا يلزم أن لا يوجد فى العالم مؤمن الا نبى معصوم ، إذ لا عصمة لغير الانبياء ، ويلزم أن لا يطلق إسم الإيمان على أحد حتى يستوفى جميع خصال الخير علما وفعلا ، فيكون إسم الإيمان موقوفا على العمل فى المستأنف .

فالعمل اذن غير داخل فى الإيمان ركنا مقوما له حتى يقال بأن عدمه يكفر ، ويخرج عن الإيمان فى الحال ويعذب صاحبه ويخلد فى النار ، وغير خارج عن الايمان تكليفا لازما له حتى يقال بأن عدمه لا يحقق لوما وزجرا فى الحال ، ولا يستوجب عقابا وجزاء فى المآل .

كما أن جبريل عليه السلام عندما سأل (النبى) (صلى الله عليه وسلم) عن حقيقة الإيمان لم يجبه الا بالتصديق ، ولم يذكر الأعمال ، فلو كانت الأعمال جزءا من حقيقة الإيمان لذكرها .

كما قالوا بأن من آمن ثم مات قبل أن يتمكن من اداء أية عبادة أجمع العلماء على أنه مؤمن فكيف تكون العبادات جزءا من الإيمان ، وكيف لا ينتفى الشئ أى الإيمان مع انتفاء ركنه وهو الاعمال .

كما اجمع العلماء على أن الإيمان شرط فى صحة العبادات ، فكيف تكون جزءا منه .

---

(١) سورة الكهف آيه ٣٠ ، ١٠٧

كما قالوا ان الإيمان لو كان إسما للطاعات ، فاما أن يكون لجميعها أو لبعضها ، فإن كان لجميعها فيلزم انتفاؤه بانتفاء بعضها ، والإجماع على خلاف ذلك ، وان كان لكل عمل على حده ، فتكون كل طاعه ايمانا على حده ، والمنتقل من طاعه الى طاعه منتقل من دين الى دين وهذا باطل .

أدلة الأشاعرة من القرآن الكريم على مذهبهم فى الإيمان

استدل الأشاعرة بالآيات القرآنيه على أن القلب محل الإيمان ، ومن هذه الآيات قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم .)(١) وقال أيضا جل شأنه (يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ...) (٢) وقال عز وجل (... إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان ...) (٣) وقوله (... أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ...) (٤) وقوله (.... ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم ....) (٥)

كذلك الآيات التى ذكر فيها الختم والطبع تشير الى أن الإيمان محله القلب كقوله تعالى (ذلك بأنهم أمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ...) (٦) .

فهذه النصوص تدل على أن الإيمان محله القلب ، وبما أن الإيمان محله القلب فالأعمال ليست ركنا فى حقيقة الإيمان ويستدلون أيضا على ذلك بالنصوص التى ذكر فيها الأوامر والنواهى بعد اثبات الإيمان فهى تدل على أن الأوامر والنواهى شئ والإيمان شئ آخر

(١) سورة الحجرات آيه ١٤
(٢) سورة المائده آيه ٤١
(٣) سورة النحل آيه ١٠٦
(٤) سورة المجادله آيه ٢٢
(٥) سورة الحجرات آيه ٧
(٦) سورة المنافقين آية ٣

ذلك مثل قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ...) (١) .

ويستدلون على ان الأعمال ليست ركنا فى حقيقة الإيمان بالنصوص الدالة على أن الإيمان والأعمال أمران مختلفان مثل قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) (٣) فعطف الأعمال على الإيمان يفيد المغايرة .

ومما يستدلون به أيضا على أن الأعمال ليست ركنا فى حقيقة الإيمان الآيات الداله على أن الإيمان والمعاصى قد يجتمعان مثل قوله تعالى (...والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا ...) (٣) فهذه النصوص تدل على أن الأعمال ليست ركنا فى حقيقه الإيمان وانما الإيمان شئ والأعمال شئ آخر .

أدلة الأشاعرة من الأحاديث النبويه على مذهبهم فى الإيمان

استدل الأشاعرة على مذهبهم فى الإيمان بالأحاديث النبوية التى تدل على ان القلب محل الايمان منها ماروى عن أنس أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال (ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل) (٤)

وأيضا ماروى عن أسامه بن زيد عندما قتل من قال لا إله الا الله فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (افلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ ..) (٥)

---

(١) سورة البقرة آيه ١٨٣ [?]

(٣) سورة لقمان آيه ٨

(٣) سورة الانفال آيه ٧٢

(٤) كنز الاعمال ك الايمان جـ ١ ص ٢٥

(٥) صحيح مسلم ك الايمان جـ ١ ب ٤١ ح ١٥٨ ص ٩٦

ممن هذين الحديثين يتضح أن الإيمان إنما يكون فى القلب واذا دلت الأحاديث الشريفة على أن الإيمان فى القلب فقد دلت على أن الأعمال ليست ركنا فى حقيقة الإيمان ومن هذه الأحاديث أيضا ما روى عن أبى ذر (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة) قلت: وان زنى وان سرق قال (وإن زنى وإن سرق) قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال (وإن زنى وإن سرق) قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال: (وان زنى وإن سرق على رغم أنف أبى ذر) (١) .

فهذا الحديث يدل على أن الايمان والمعاصى قد يجتمعان ، واذا كانت المعصية قد تجتمع مع الإيمان كان الإيمان شيئا والمعصية شيئا آخر مما يدل على أن الاعمال ليست ركنا فى حقيقة الإيمان .

والواقع ان راى الأشاعرة فى حقيقة الإيمان وانه هو التصديق القلبى بما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو الرأى الصائب .

بيان المراد بالإيمان عند المعتزلة

الإيمان عند المعتزلة يقترن بالعمل الصالح ، إذ أن آيات كثير يقترن فيها الإيمان بالعمل الصالح يقول الله تعالى (إن الذين آمنوا عملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) (٢) فلا إيمان بلا عمل صالح ، ومن ثم فإن إلزام مايقتضيه الإيمان إجتناب الكبائر .

ويشترط معظم المعتزلة فى الإيمان أداء الطاعات وفعل الخيرات وممن ذهب الى ذلك أبو الهذيل وقاضى القضاه .

---

(١) صحيح مسلم ، ك الايمان ح ١ ، ب ٤٠ م ٤ ، ١٤ ص ٩٥

أما عند أبي على الجبائي وأبي هاشم فالايمان عبارة عن أداء الطاعات الفرائض دون النوافل .

وبناء على ذلك يكون العمل ركن اساسي في الايمان ، فالايمان تصديق واقرار باللسان وعمل بالأركان ، ومرتكب الكبيره عندهم لا يسمى مؤمنا لأنه أخل بركن من أركان الايمان ، ولا يسمى كافرا لما بقى معه من أركان الايمان الأخرى وهى التصديق بالقلب والاقرار باللسان .

أدلة المعتزلة على مذهبهم في الايمان وردها

يستدل المعتزلة على مذهبهم في الايمان انه التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالأركان بأدله نقلية وعقلية

الادلة النقلية

١ـ أدلة القرآن الكريم
استدل المعتزلة بأدله من القرآن الكريم كقوله تعالى : (وماكان الله ليضيع ايمانكم)(١)
أى صلاتكم الى بيت المقدس فدلت الآية على ان الصلاة ايمان أى جزء منه .

رد الدليل

وقد رد الأشاعرة قول المعتزلة بأن الايمان في الآيه محمول على التصديق ، فالمراد به عندهم ـ أى الأشاعره ـ وما كان الله ليضيع تصديقكم بنبيكم فيما بلغكم من الصلاة التى توجهتم بها الى بيت المقدس .

ولو سلم ـ انها تعنى الصلاة ـ جاز أن يكون ذلك مجازا من باب إطلاق الإيمان على ما يدل عليه من الصلاة ،وهى أولى من النقل الذى هو لازم مذهبكم . اذ أن الإيمان معناه فى اللغه التصديق ،فاذا كان المراد منه الصلاة فقد نقل من معناه اللغوى الى معنى آخر .

كذلك استدلوا (المعتزله) بقوله تعالى (.. ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخره عذاب عظيم) (١) فقالوا قاطع الطريق ليس بمؤمن لانه مخزى ،والمؤمن لا يخزى لقوله تعالى (.. يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ..) (٢) فدل ذلك على أن قاطع الطريق ليس بمؤمن ،واذا كان كذلك كان ترك المنهيات من الإيمان .

رد الدليل

وقد رد الأشاعرة على هذا الدليل بأن عدم الإخزاء خاص بالنبى وأصحابه وليس فى الصحابة قاطع طريق ،فلا يعم المؤمنين جميعا .

بـ أدله الحديث الشريف :

وكما أستدلوا (المعتزله) على مذهبهم فى الإيمان بالقرآن الكريم فقد استدلوا ايضا بالأحاديث النبوية الشريفة منها على سبيل المثال قوله (صلى الله عليه وسلم) (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن) (٣) وقوله عليه السلام (لا إيمان لمن لا أمانة له) (٤) .

---

(١) سورة البقره آيه ١١٤ (٣) صحيح مسلم الايمان جـ ١ حـ ٥٧ صـ ٧٦

(٢) سورة التحريم آيه ٨ (٤) الامام احمد بن حنبل فى مسنده جـ ٣ صـ ١٣٥

رد الدليل

وقد رد الأشاعرة على ذلك بأن مثل هذه الأحاديث وردت على سبيل المبالغة والتغليظ ، ونفى الإيمان الكامل إشارة الى انه لا ينبغى أن يصدر مثل هذا الفعل عن المؤمن مطلقا ، ولا يلزم من ذلك كذب لأن المراد منها المبالغة والتغليظ ، ثم انها معارضة بالأحاديث الدالة على أنه مؤمن وانه يدخل الجنة حتى قال (صلى الله عليه وسلم) لأبى ذر لما بالغ فى السؤال عنه (.... وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبى ذر)

الدليل العقلى :

أما الدليل العقلى الذى استدل به المعتزلة على أن العمل جزء من الإيمان هو ماذهبوا اليه من أن فعل الواجبات هو الدين والدين هو الإسلام والإسلام هو الإيمان ، ففعل الواجبات هو الإيمان ، ويستدلون على أن فعل الواجبات هو الدين بقوله تعالى (وذلك دين القيمة) (١) فإن إسم الإشارة راجع على المأمور به من الطاعات فى قوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (٢) .

رد الدليل

، وقد رد الأشاعرة هذا الدليل بأن إسم الإشارة راجع إلى الإخلاص المذكور قبله فى الآية ويؤيد رجوع إسم الإشارة الى الإخلاص انه مفرد فرجوعه الى مفرد أولى من رجوعه الى المأمور به من الطاعات لانها متعددة ، كما ان الطاعات مؤنثة وإسم الإشارة مذكر ، والمذكر لا يعود على المؤنث وانما يعود على المذكر مثله وهو الإخلاص .

---

(١) ، (٢) سورة البينة آية ٥

أما قولهم أى المعتزله ان الدين هو الإسلام فيستدلون عليه بقوله (ان الدين عند الله الإسلام) (١)

رد الدليل

وقد رد الأشاعرة هذا بأن المقصود من الإسلام فى الآيه ليس الإسلام الذى هو صفه المكلف وانما هو الإسلام المضاف الى الرسول وهو الدين والملة .

أما قولهم أى المعتزله ان الإسلام هو الايمان ،فلأن الإيمان لو كان غير الإسلام لما قبل من مبتغيه ،ويستدلوا عليه بقوله تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)(٢)

ولاستثناء المسلمين من المؤمنين فى قوله تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) فلو لم يكن احدهما هو الاخر لكان لايصح الاستثناء على هذا الوجه .

رد الدليل

وقد رد الأشاعرة على هذا بأن قضية إتحاد الإيمان بالإسلام أدلتها معارضة بأدلة القول بتغايرهما .

---

(١) سورة آل عمران آيه ١٩
(٢) سورة آل عمران آيه ٨٥

ويروى عن ابى حنيفه وكثير من المحققين فى تعريف الإيمان

انه هو التصديق بما جاء به النبى (صلى الله عليه وسلم) من عند الله مما هو معلوم من الدين بالضروره والإقرار باللسان. فالإيمان هنا تصديق وإقرار إلا ان الركنين ليسا فى مرتبة واحدة.

فالتصديق ركن لا يحتمل السقوط ويجب ان يكون بجميع ما جاء به النبى (صلى الله عليه وسلم) مما هو معلوم من الدين الضروره.

والركن الثانى وهو الإقرار باللسان ركن يحتمل السقوط فقد يسقط فى حال الإكراه والخرس مثلا.

أدلة هذا الفريق وردها

استدل هذا الفريق على مذهبهم بدليلين:

الدليل الأول

أن الإيمان هو التصديق وأهل اللغة لا يعرفون منه الا التصديق باللسان دون التصديق القلبى، ومعلوم ان التصديق واحد فى اللغة وفى الشرع ولم ينقله الشارع الى غير التصديق اللسانى الذى هو معروف فى اللغة.

رد الدليل

رد جمهور المتكلمين هذا الدليل بأن التصديق من أعمال القلب وليس من أعمال اللسان وان اللغة لا تعرف الا التصديق القلبى، والدليل على ذلك نفى إيمان بعض المقرين باللسان مثل قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)

وقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) . فقد ثبت من الآيتين أن الإيمان ليس هو التصديق باللسان والا لما نفى عن هؤلاء المذكورين فى الآيتين .

الدليل الثانى

أن النبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه كانوا يقتنعون من المؤمن بكلمة الشهادتين ، ويحكمون بإيمان من تلفظ بهما من غير إستفسار عما فى قلبه ، فدل ذلك على أن الإيمان هو التصديق باللسان .

رد هذا الدليل

رد الجمهور هذا الدليل بأنه لا نزاع فى كون المتلفظ بالشهادتين مؤمن لغة ، كما انه لا نزاع فى ان إيمانه هذا يترتب عليه الأحكام الشرعيه ، وانما النزاع فى كون مثل هذا المتلفظ الذى لم يصدق بقلبه مؤمنا حقا أم لا ، فأنتم تقولون انه مؤمن حقا وان كان غير ناج ، ونحن نقول انه غير مؤمن حقا وايمانه ظاهرى فقط .

وقيل ان الايمان هو المعرفه

فقال قوم ان الإيمان هو المعرفة بالله تعالى .
وقال آخرون ان الإيمان هو المعرفة بالله وبما جاءت به الرسل .

رد هذا المذهب

وقد رد هذا المذهب بأن الدليل على ان الإيمان ليس هو المعرفة فهو ان من الكفار من كان يعرف الحق ولا يصدق به استكبارا وعنادا ويدل على ذلك قوله تعالى (الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ،وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)

تعريف الكفر

معنى الكفر لغة

الكفر ضد الإيمان ،والكفر أيضا جحود النعمة وهو ضد الشكر ومنه قوله تعالى (انا بكل كافرون) أى جاحدون ، (والكفر) بالفتح التغطية ، (والكافر) الليل المظلم لانه ستر بظلمته كل شئ وكل شئ غطى شيئا فقد كفره قال ابن السكيت ومنه سمى (الكافر) لانه يستر نعم الله عليه .

معنى الكفر شرعا

عرف الباقلانى الكفر بأنه (الجهل بالله عز وجل والتكذيب به ،الساتر لقلب الانسان عن العمل به)

وعرفه الإمام الغزالى بأنه (تكذيب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى شئ مما جاء به)
وعرفه الامام الرازى بأنه (انكار ما علم بالضرورة مجئ الرسول (صلى الله عليه وسلم) به)
وهذه التعاريف للكفر شرعا عند الأشاعرة أدق من تعريف المعتزلة له .

فقد ذهبت المعتزلة فى تعريف الكافر فى الشرع بأنه جعل إسما لمن يستحق العقاب العظيم ،ويختص بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة والموارثة .

وهذا التعريف غير دقيق لان التعريف : - لا يذكر الذاتيات أو اللوازم البينة التى يصل بها الذهن الى معرفة حقيقة الكفر ، فان ماذكروه هو من أحكام الكفر وليس تعريفا لـــه

معنى الاسلام

معنى الاسلام لغة

واذا انتقلنا الى معنى الاسلام نجد أن أهل اللغة قالوا ان (السلم) بمعنى الإستسلام ، والسلم السلام وقرأ أبو عمرو (أدخلوا فى السلم كافة) وذهب بمعناه الى الإسلام ، والســـلام إسم من أسماء الله تعالى ، (واسلم) أمره الى الله أى سلم (واسلم) دخل فى (السلم) بفتحتين وهو الاستسلام و (اسلم) من الاسلام ، و (استسلم) أى انقاد .

معنى الاسلام شرعا

عرف البغدادى الاسلام فقال (المسلم بمعنى المستسلم لامر الله تعالى كقوله تعالى (اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) (١) أى استسلمت لأمره .

اذن فالاسلام هو الخضوع والانقياد لما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلم مجيئـــه به بالضرورة أى علم مجيئه به يقينا .

أما القاضى عبد الجبار فيرى أن اسم المسلم صار بالشرع اسما لمن يستحق المدح والتعظيم كالمؤمن .

والدليل على ذلك هو أن الشرع لم يذكر لفظ المسلم الا وقد قرن اليه مايدل على انـــه مستحق للمدح قال تعالى (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات) (٢)

---

(١) سورة البقرة آيه ١٣١ (٢) سوره الاحزاب آيه ٣٥

والمعتزلة ترى انه لا فرق بين المسلم والمؤمن . ويردون على خصومهم الذين فرقوا بين المؤمن والمسلم مستدلين بقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا .) بأن الله فصل بين الإيمان والإسلام ،فلو كانا جميعا بمعنى واحد لم يكن للفصل بينهما وجه .

فيرد المعتزلة على خصومهم بأنه (تعالى) استعمل الإسلام فى هذا الموضع على الحد الذى يستعمله أهل اللغة مجازا ،فالمعتزلة لا تمنع من وجود المجاز فى كتاب الله (تعالى) فصار الحال فيه كالحال فى المؤمن ،فقد استعمله الله كثيرا فى كتابه وأراد به ماوضع له فى الأصل نحو قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ...) (١)

علاقة الإيمان بالإسلام

أما عن علاقة الإيمان بالإسلام فيرى الأشاعرة أن معنى الإسلام هو الإنقياد والإستسلام وكل طاعه إنقاد بها العبد لربه (تعالى) واستسلم فيها لأمره فهى اسلام ،والإيمان خصلة من خصال الإسلام ،وكل ايمان إسلام وليس كل إسلام إيمانا ،فالإيمان أخص من الإسلام والإسلام أعم وأوسع من الإيمان .

زيادة الإيمان ونقصانه

يذكر البغدادى ان من قال ان الإيمان هو التصديق بالقلب منع النقصان فيه .

أما الزيادة فمختلف فيها فمنهم من منعها ،ومنهم من أجازها ودليل من أجاز الزيادة فيه قول الله تعالى (..وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ..) (٢) وقوله (..ومازادهم الا إيمانا وتسليما ..) (٣) وقال (..ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم...) (٤)

(١) سورة النساء آيه ١٣٦
(٢) سورة الانفال آيه ٢
(٣) سورة الاحزاب آيه ٢٢
(٤) سورة الفتح آيه ٤

ففى هذه الآيات تصريح بأن الإيمان يزيد واذا صحت الزيادة فيه كان الذى زاد إيمانه قبل الإزدياد انقص إيمانا منه فى حق الإزدياد .

أما من منعها فقد منعها بناء على أن الإيمان هو التصديق ، فلا يفضل تصديق تصديقا كما لا يفضل علم علما .

ولكن بناء على ذلك هل إيمان النبى (صلى الله عليه وسلم) كإيمان غيره من الناس؟

يرى الأشاعرة ان النبى (صلى الله عليه وسلم) يفضل من عداه باستمرار تصديقه وعصمة الله إياه من مخامرة الشكوك ، والتصديق عرض لا يبقى وهو متوال للنبى (عليه الصلاة والسلام) ثابت لغيره فى بعض الاوقات زائل عنه فى أوقات أخرى فيثبت للنبى (عليه الصلاة والسلام) أعداد من التصديق لا يثبت لغيره الا بعضها فيكون إيمانا بذلك اكثر .

وقد أول القائلون بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص النصوص الدينية التى يفيد ظاهرها قبول الإيمان للزيادة والنقصان ، بأن المراد بها زيادة ثمرته وإشراق نوره فى قلب المؤمن أو أن المراد الزيادة بحسب زيادة المؤمن به .

وفى الحقيقة أن الرأى القائل بأن الإيمان يقبل الزيادة والنقصان هو الرأى القريب من العقول لانه إن لم يقبل الزيادة لكان إيمان عصاة المؤمنين يكون مساويا لإيمان الصحابة (رضوان الله عليهم) وغيرهم من الصديقين .

حكم مرتكب الكبيرة

مذهب الأشاعرة في صاحب الكبيرة

تذهب الأشاعرة إلى أن صاحب الكبيرة مؤمن وليس بكافر وانه ان تاب عنها تاب الله عليه ، وإن مات بدون توبه ، فأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه تفضلا منه ، رغم استحقاقه لعقوبة الذنب الذى فعله .

الأدلة التي استدل بها الأشاعرة على أن صاحب الكبيره مؤمن نوعين

أولا نوع لإثبات أن مرتكب الكبيرة مؤمن

١ـ أدلتهم من القرآن الكريم :

استدل الأشاعرة على إطلاقهم إسم المؤمن على صاحب الكبيره بنصوص من القرآن الكريم منها على سبيل المثال قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ...)(١) فالله قد أطلق عليهم إسم الإيمان

كذلك قوله تعالى (... والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا(٢))

٢ـ أدلتهم من السنة النبوية :

وكما استدل الأشاعرة بالقرآن على أن صاحب الكبيرة مؤمن فقد استدلوا أيضا بالسنه .

(١) سورة الحجرات آيه ٩
(٢) سورة الانفال آيه ٧٢
(٣) صحيح مسلم ك ١٠ الايمان حـ١ ، ب(٤٠) ح ١٥٤ ص ٩٥

النبوية الشريفة منها ماروى عن أبى ذ ر قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (مامن عبد قال لا اله الا الله ثم لمات على ذلك الا دخل الجنه ، قلت: وان زنى وان سرق ؟ قال (وان زنى وان سرق) ، قلت: وان زنى وان سرق ؟ قال : (وان زنى وان سرق) قلت وان زنى وان سرق ؟ قال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى ذ ر) (١)

فهذه النصوص من القرآن والسنة تفيد بأن صاحب الكبيرة مؤمن وأنه بارتكابه الكبيرة لم يخرج من الايمان وذلك لأن الايمان هو التصديق القلبى عندهم .

لو كان مرتكب الكبيره كافرا ، لكان مرتدا يجب قتله بعد استتابته لكن الآيات القرآنيه والأحاديث النبوية تدل على أن الزانى والسارق وشارب الخمر لا يقتل بل تقام عليه الحدود .

النوع الثانى من الادلة

وهو لاثبات أن أمره فى الآخره مفوض الى ربه ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه

١ـ عقاب مرتكب الكبيرة حق الله تعالى ، فله فعله وله تركه واتفق العقلاء على حسن العفو والصفح عن المذنب فكيف لا يحسن من الله العفو والصفح عن المذنب ، وقد أمرنا به وحضنا عليه قال تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) (٢)
وقال سبحانه (وأن تعفو أقرب للتقوى) (٣) فان كان هذا كمالا فالله أولى أن يتصف به فالعقل السليم يجيز أن يغفر الله للمذنبين ، وان ماتوا بلا توبه ، لأنه لا يحب على الله فعل شئ .

---

(١) صحيح مسلم الايمان
(٢) سورة آل عمران آيه ١٣٤
(٣) سورة البقرة آية ٢٣٧

٢ـ قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فغرق الله بين الشرك وبين غيره من الذنوب ،لأن الشرك اكبر الكبائر فأخبر أن الشرك غير مغفور وعلق غفران مادونه بالمشيئة . والجائز يعلق بالمشيئة دون الممتنع ،فلو كان الكل سواء لما كان للتفضيل معنى ،وغفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به غير معلق بالمشيئة ،فوجب ان يكون الغفران المعلق بالمشيئة هو غفران سائر الذنوب الا الشرك قبل التوبة قال تعالى (وهو الذى يقبل التوبه عن عباده ،ويعفوعن السيئات ويعلم ما تفعلون) . الشورى آية ٢٥

مذهب الأشاعرة فى الفاسق

يذهب الأشعرى فى وصفه للفاسق بأنه مؤمن من حيث انه مؤمن بإيمانه فاسق بفسقه وكبيرته .

أدلة الأشاعرة على مذهبهم فى كون الفاسق مؤمنا

يستدل الأشاعرة على مذهبهم فى الفاسق بكونه مؤمنا بإيمانه ،فاسقا بكبيرته بأدلة من اللغة والشرع وإجماع العلماء .

اـ أدله الأشاعرة من حيث اللغة :

يقول الأشعرى أجمع أهل اللغه أن من كان منه ضرب فهو ضارب ومن كان منه قتل فهو قاتل ،ومن كان منه كفر فهو كافر ،ومن كان منه فسق فهو فاسق ،ومن كان منه تصديق فهو مصدق ،وكذلك من كان منه الايمان فهو مؤمن ،ولو كان الفاسق لا مؤمنا ولا كافرا لم يكن منه كفر ولا إيمان ،ولكان لا موحدا ولا ملحدا ،ولا وليا ولا عدوا ،فلما إستحال ذلك إستحال ان يكون الفاسق لا مؤمنا ولا كافرا كما قالت المعتزلة .

ب- أدلتهم على مذهبهم فى الفاسق من الشرع :

ترى الأشاعرة ان الأحكام الشرعية المقيدة بخطاب المؤمنين تتوجه الى الفسقه توجهها الى الأتقياء إجماعا ،والفاسق يجرى مجرى المؤمن فى أحكامه فيسهم له فى المغنم وغير ذلك من أحكام ،وكل ذلك يقطع بكونه منهم .

حـ- أدلتهم على مذهبهم فى الفاسق من الاجماع :

يذكر الاشعرى ان الناس كانوا قبل حدوث بدعة واصل بن عطاء رئيس المعتزلة على مقالتين ،منهم الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ومنهم أهل إستقامه يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ،ولم يقل أحد منهم انه ليس بمؤمن ولا كافر حتى اعتزل واصل الأمه بمقالته فى الفاسق وخرج عن قولها ،فسمى معتزليا بمخالفته الإجماع فبعد من الإجماع قوله ،وما اتفق المسلمون عليه من أن العاصى من أهل القبله لا يخلوا من أن يكون مؤمنا أو كافرا يقضى ببطلان قوله ثم يقول (كما نسمى الفاسق فاسقا لفسقه ،فلماذا لا نسميه مؤمنا لإيمانه)

مذهب المعتزلة في الفاسق وانه لا يسمى مؤمنا ولا كافرا (أي في منزلة بين المنزلتين)

صاحب الكبيرة عند المعتزلة لا يسمى مؤمنا لانه يستحق بارتكابه الكبيرة الذم واللعن ، وثبت ان إسم المؤمن صار بالشرع إسما لمن يستحق المدح والتعظيم ، فإذا ثبت هذا فلا إشكال في أن صاحب الكبيرة لا يجوز ان يسمى مؤمنا .

وأيضا صاحب الكبيرة لا يسمى كافرا عندهم لأن الشرع جعل الكافر إسما لمن يستحق العقاب العظيم ويختص بأحكام مخصوصة نحو المنع من المناكحة ، والموارثة ... وصار كأنه جحد نعم الله تعالى عليه وأنكرها ، ومعلوم ان صاحب الكبيره ممن لا يستحق العقاب العظيم ولا تجري عليه هذه الأحكام ، فلم يجز ان يسمى كافرا .

أدلة المعتزلة على ان الفاسق في منزلة بين المنزلتين : وردها

استدل المعتزلة على قولهم بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين

الدليل الأول

ان مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا لأنه يستحق بارتكاب الكبيرة الذم واللعن ، وثبت أن إسم المؤمن صار بالشرع إسما لمن يستحق المدح والتعظيم ، كما انه ليس كافرا بالإجماع لان الصحابة والتابعين اتفقوا على أن صاحب الكبيرة لا يحرم الميراث ولا يمنع من المناكحة ....

رد الدليل

وقد رد الأشاعرة على استدلال المعتزلة هذا بأن مرتكب الكبيرة مؤمن لوجود التصديق بما جاء به النبي (صلى الله عليه وسلم) في قلبه ، والطاعات ليست جزءا من الايمان بل هي ـــــ

الدليل الثانى

قالوا (أى المعتزلة) ان الناس على اختلافهم فى صاحب الكبيرة وقول بعضهم انه كافر ، وقول البعض انه مؤمن ، وقول آخر انه منافق ، لم يختلفوا فى انه فاسق ، فأخذنا بالاجماع وتركنا لهم الخلاف .

رد الدليل

وقد رد الأشاعرة على استدلال المعتزلة هذا بأنه قد ثبت أنه مؤمن قطعا ، ولا خلاف فيه ممن قبله (أى قبل واصل بن عطاء) ، بل قد أجمع على أنه إما مؤمن وإما كافر ، فالقول بالواسطة خرق للإجماع فيكون باطلا .

مذهب الخوارج فى صاحب الكبيرة

يرى الخوارج أن الكبيرة تخرج صاحبها من الإيمان وتدخله فى الكفر ولا واسطة بينهما .

أدلتهم على مذهبهم وردها

نذكر من أدلة الخوارج على مذهبهم دليلين على سبيل المثال

الدليل الاول

قول الله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) فيرون ان هذه الآية

رد الدليل

ويرد هذا الدليل بأن الحكم فى الآية بمعنى التصديق ، ولا شك أن من لم يصدق ببعض ما أنزل الله فهو كافر .

أو ان المقصود فى الآية من لم يحكم بشئ أصلا مما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ولا شك أن هذا لا يشمل العاصى لانه حاكم ببعض ماأنزل الله فلا يكون كافرا .

وقيل ان الآية نزلت فى حق اليهود وسياق الآية مع ماقبلها يدل على أنها فى حق اليهود وشرعهم ليس شرعا لنا .

الدليل الثانى

قول الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) فإن قوله تعالى (ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) بعد قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت) فإن معناه من ترك الحج وهو مستطيع فإنه يكون كافر ، لأن الله أطلق عليه الكفر .

رد الدليل

ويرد هذا الدليل بأن المراد من جحد وجوب الحج بعدما تبين له وجوبه فإنه يكون كافرا ، ولا شك فى ذلك لأن من فعل ذلك يكون منكرا لأمر معلوم من الدين بالضروره .

مذهب الحسن البصرى

يرى الحسن البصرى أن صاحب الكبيرة منافق لانه يظهر بالمعصيه عدواة الله وباطنه مصدق بالله . وهذا غير النفاق المعهود الذى هو أحط دركة من الكفر وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر .

أدلته على مذهبه وردها

الدليل الأول

قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان .

رد الدليل

يرد هذا الدليل بأن الحديث بظاهره يدل على نفاق مرتكب الكبيرة لكنه متروك الظاهر . بدليل أن من وعد شخصا بإعطائه شيئا ثم أخلف وعده لا يكون منافقا بإتفاق ،وعلى ذلك يكون الحديث ورد على سبيل التغليظ .

الدليل الثاني

قال الإمام الحسن البصري ان من قال لك ان في هذا الجحر حية ثم وضع يده فيه لا يكون صادقا في قوله،كذلك من قال أنا مؤمن ثم عمل بضد الإيمان فإن ذلك يدل على انه لا تصديق عنده .

رد الدليل

يرد هذا الدليل بأن ذلك قياس مع الفارق إذ أن مضرة الحية عاجلة بخلاف مضرة الآخرة فانها مؤجلة ،فإدخال يده في الجحر دليل عدم صدقه ،بخلاف من اعتقد الإيمان ثم عمل بضد إعتقاده ،فإن رحمة الله واسعة فرحمة الله تسعه وتسع غيره .

وبعد ان عرضنا الآراء فى صاحب الكبيرة أستطيع أن أقول أن موقف الأشاعرة من صاحب الكبيرة موقف يتقبله العقل ويؤيده النقل من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة كما أنه موقف تستريح اليه النفس .

د . مديحه محمد أمين

ثانيا : النبــوات

النبــوه ـ الــوحى ـ الــمعجزه

اولا ـ النبــوه

النبي والرسول في اللغه

النبى فى اللغه

النبى تعنى الطريق • والنباوه هى ما ارتفع من الارض كالنبوه والنـــبى • وانبأه الخبر وبالخبر اخبره • واستنبأ النبأ بحث عنه •ونباه ونابأه انبأ كـــل منهما صاحبه[1]
ونابأت نبأ ونبوء اذا ارتفعت وكل ورتفع نابىء ومنه الحديث لا يصلى على النبى[2]

وعلى ذلك فالنبى لغه قد يكون مأخوذا من النباوة وهى الارتفاع •وذلــك لارتفاع مكانه النبى وسموها عند الله والناس •

وقد يكون مأخوذا من النبى وهو الطريق لكونه هو الطريق الذى يصــــل الخلق من خلاله الى الحق سبحانه وقد يكون مأخوذا من النبأ وهو الخبـــر • لانه يخبرعن ربه •

الرسول فى اللغه :

الارسال هو التوجيه •
والرسول المرسل ويستوى فيه المذكر والموءنث والواحد والجمع[3]•
وقال السيد فى التعريفات : الرسول فى اللغه هو الذى امره المرســل بأداء الرساله بالتسليم او القبض[3] ونجمع ايضا على رسل •

(١) القاموس المحيط
(٢) التكمله والذيل والصله
(٣) التعريفات للسيد

تعريف النبي والرسول شرعا واصطلاحا

اختلف العلماء بالنسبه الى تعريف النبي والرسول ،وهل هما بمعنى واحد او مختلفين الى طائفتين اساسيتين :

الاولى : انهما بمعنى واحد . فالنبي هو الرسول والرسول هو النبي ولا فرق بينهما . فالرسول من الالفاظ المتعديه اى لابد وان يكون هناك مرسل ومرسل اليه ،وهو على اطلاق اللفظ المبعوث من جهه الله تعالى .

والنبي بمعنى النبئ هو المبعوث من جهه الله تعالى ايضا ،اى المخبر عنه(١)

وعلى ذلك فلا فرق بين نبئ ورسول فى الاخبار عن الله ولا فرق ايضا عند هذه الطائفه - بين نبي ونبئ من حيث صحه اطلاقها على الرسول فاذا اتصف بأنه نبئ فيكون المخبر عن الله ،واذا اتصف بأنه نبى اى رفيع المقام ،وهى تستعمل فى كل رفعه ولكنها صارت فى الشريعه والتعارف تستعمل فى رفعه مخصوصه .

ودليل هذه الطائفه على المساواه بين الرسول والنبي فى الشرع انهما يثبتان معا ويزولان معا فى الاستعمال حتى لو اثبت احدهما ونفى الاخر لتناقض الكلام . وقالوا ان هذا هو اماره اثبات كل من اللفظين المتفقين فى الفائده .

---

(١) شرح الاصول الخمسه ص٥٦٨

الثانيه : إن بين النبي والرسول اختلافا في المفهوم وهؤلاء استندوا فيما ذهبوا اليه من الاختلاف بين النبي والرسول الى ادله من الكتاب والسنه .

فمن الكتاب قوله تعالى :
(وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته(١))

قالوا ان هذه الايه عطفت النبي على الرسول والعطف يقتضي المغايره ، ولو كانا بمعنى واحد ما عطف احدهما على الاخر .

واما السنه :
فقد ورد ان اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد سألوه عن عدد الانبياء فقال : مائه الف واربعه وعشرون الفا ثم سألوه عن عدد الرسل فقال : ثلاثمائه وثلاثه عشر جما غفيرا . ثم سألوه عن عدد الكتب فقال : مائه كتاب واربعة كتب .

وقد اختلفت هذه الطائفه فيما بينهم على اقوال :
ا- فمنهم من ذهب الى ان الرسول كان صاحب شريعة جديده موحى بها عن طريق الوحي ويكون مأمورا بتبليغها الى الناس .
وان النبي من اختص بشرع من عند ربه للتعبد به في نفسه ولم يكن مأمورا بتبليغها . (٣)

---

(٣) الفتوحات المكيه
(١) سورة الحج آية ٥٢

والفرق بينهما على هذا الرأى ان الرسول والنبى كلاهما صاحب شريعة الا ان الرسول مأمور بالتبليغ .

ب- ومنهم من ذهب الى ان الرسول من جمع مع المعجزة كتابا منزلا عليه كالتوراة بالنسبه لموسى والانجيل بالنسبه لعيسى والقرآن بالنسبة لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

والنبى من لا كتاب له كيوشع وغيره من بنى اسرائيل فهم بمثابة المساعدين للرسل (١)

الفرق بينهما ان كلاهما مأمور بالتبليغ الا ان الرسول صاحب كتاب وشرع ،اما النبى فلا كتاب له يخصه كأن يبلغ شريعة من قبله من الرسل .

حـ قيل بينهما عموم وخصوص من جهة ،فالرسول عام من جهة اطلاقه على الملك والبشر . قال تعالى : الله يصطفى رسلا من الملائكه والناس ان الله سميع بصير ﴾ (٢)
والنبى لا يطلق الا على البشر فيكون خاصا من هذه الجهه . ومن ناحيه اخرى فالرسول خاص من جهة انه يأتيه الملك بالوحى .
والنبى عام من هذه الجهه لانه يوحى اليه فى المنام ويأتيه الوحى كالرسول . (٣)

---

(١) الشيخ محمد عبده بين الفلاسفه والمتكلمين ج ٢ ص٦٥٥

(٢) سوره الحج ايه ٧٥

(٣) انظر تاريخ الخميس فى احوال انفس نفيس ص٧

فى الواقع ان التفرقه بين النبى والرسول ليس لها دليل قاطع فالشرع يسوى بين النبى والرسول سواء كان فى التبليغ او فى انزال الكتاب .

جاء فى القران الكريم : (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) (١)

وقال تعالى : (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذ رين)

فالآيه الأولى صريحه فى أمر الرسول بتبليغ الرسالة والآيه الثانيه المفهوم منها أن النبى ايضا مأمور بالتبليغ لكونه مبشر ومنذ ر .ولا يكون النبى مبشر ومنذ ر إلا إذا كان هناك من الأوامر والنواهى والتعليمات التى بها يكون مبشر ومنذ ر .

قال تعالى ايضا :

(انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده)

الخطاب هنا للرسول صلى الله عليه وسلم والآيه تدل على ان الرسول يوحى اليه والنبيين كذلك يوحى اليهم .

---

(١) سورة المائده آية ٦٧

شروط النبوة

اتفق المتكلمون على الشروط الآتيه للنبوة :

١ـ الذكورة :

فلا يكون النبي انثى قط ،واما القول بنبوة مريم وآسيه امراه فرعون وحواء وام موسى وهاجر وساره : فهو مردود لقوله تعالى :

(وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى إليهم)(١)

فدلت الآية على ان الا رسال للرجال دون غيرهم :

اما قوله تعالى : (واوحينا الى ام موسى) (٢) فقيل انه يحمل على بعث ملك اليها لا على وجه النبوه بل على طريق بعث جبرائيل عليه السلام الى مريم في قوله تعالى :

(فأرسلنا اليها روحنا)(٣)

او يحمل على انه ايحاء كما في قوله تعالى :

(واوحى ربك الى النحل ان اتخذى الى الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)

ذلك بأن اوقع الله في قلبها عزيمة قوية تجبرها على ان تلقيه في التابوت ثم تقذف التابوت في اليم .

وعلى ذلك يكون قوله تعالى :(وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا) تدل على اختصاص الرجال بالنبوة دلالة قطعية . وعلى ذلك لا تكون النبوة والرسالة لأنثى لأن طبيعة الرسالة شاقه لا تقوى على حملها طبيعة المرأة الرقيقة

---

(١) سورة يوسف اية ١٠٩ (٢) سورة القصص ايه ٧

(٣) سورة مريم ايه ١٦

٢ـ الحرية :

يجب ان يكون النبي او الرسول حرا فإن الرق أثر الكفر ، ولذا فهو صفة نقص تنفي المكلفين عن الأخذ عنه والامتثال لأوامره كذلك الرقيق لا ولايه له على نفسه فكيف يكون له ولايه على غيره . فالله يجعل النبي على أكمل صورة حتى يكون ذلك ادعى للأخذ عنه ، والامتثال لأوامره .

٣ـ السلامه عما ينفر :

يجب ان يتصف الرسل ـ اجمالا ـ بكل الصفات الخلقية التى تليق بذواتهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .
فوجود عيوب خلقيه تنفر الناس من الاجتماع بهم او اتباعهم والسماع لدعوتهم فمن كان منفرا كبرص وجزام فلا يكون نبيا ولا رسولا ، أما بلاء ايوب بالمرض فليس حقيقيا بل هو أمر ظاهرى وذلك لزواله بعد تقرر النبوه والكلام فيها وعلى ذلك فلا يكون منفرا .

٤ـ كونه أعلم بالدين ممن هو مبعوث اليهم :

يجب ان يكون الرسول عالما بكل امور الدين لأنه امام وقدوة لهم فكيف يصح بعثته لمن هو اعلم منه فيما رضوه بذلك ولا يؤمنون به ، فلا يوثق بكلامه حينئذ ولا يعتمد به لأنه ليس بأعلم الناس فتفوت المصلحه فى البعثه ، وكيف لا وهو المستمد علمه من علام الغيوب .

هـ البشريه :

لا بد ان يكون المبعوث الى الناس بشرا منهم فلم يكن هناك رسول الى الناس من الملائكه او الجن و دليل ذلك قوله تعالى :

(ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (١))

لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا

اما شرط البلوغ

فقد اختلف العلماء فى جواز بعثة من كان صغيرا ٠ فالفخر الرازى يقرر جواز ذلك ووقوعه فعلا ودليله على ذلك قوله تعالى :

(يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاه وكان تقيا (٢))

وكذلك قوله تعالى فيما حكاه القرآن الكريم على لسان عيسى وقد كان ذلك وعيسى ـ ص ـ مايزال رضيعا تحمله امه عقب ولادته ٠

بقوله تعالى : (فأتت به قومها تحمله ٠ قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هارون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه ٠ قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ٠ قال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا ٠ وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا (٣))

وقد اعترض على الرأى بانه وان كان جائزا فى حق الله تعالى ، الا انه لم يقع على الحقيقة وما جاء بشأن عيسى عليه السلام انما هو معجزة من الله اظهرها لشدة الحاجة فى براءة ساحة امه عما كان يذكر عند ولادته وتأخر ظهورها مفسده ، والدليل على ذلك انه لم يتكلم بعدها ٠

---

(٢) سورة المريم آية ١٢ـ١٣

(٣) سورة مريم الايات ٢٧ : ٣١

(١) سورة الأنعام آية ٩

وكذلك ماحصل من أمر يحيى ما هو الا ارهاص للنبوة فى المستقبل واما الاخبار عن ذلك بصيغة الماضى ،فانه تأكيد عنه فى المستقبل(١)

وهذا حق فإن الرسالة امر شاق على الرسول يحتاج الى طاقه جسميه وذهنيه لا تتحقق الا للبالغين الراشدين مع ماقد يتعرض له من الاذى والمكيده من جانب المنكرين ،كما انه مأمور بالتبليغ وهذا لا يصح من الصبى الذى يلهو ويلعب . والدليل على ذلك قوله تعالى فى كتابه العزيز :
(ولما بلغ اشده واستوى أتيناه حكما وعلما (٢))

فهنا قد علق الله سبحانه وتعالى منح الحكم والعلم على بلوغ الأشد .

الصفات الواجبة للرسل

منزلة الرسل من الأمم كمنزلة العقل من الانسان فالرسالة ضرورية لهداية البشر ،فهم السفراء بين الله وخلقه يبلغونهم ماأمر الله به ،وينهون عما نهى عنه ليستقيم حالهم ،ولذا وجب اتصاف الرسل بكل صفات الكمال التى تميزهم عن غيرهم من خلق الله بأن يكون الرسول مؤمنا تقيا صالحا صادقا امينا كريم الأخلاق حسن السيرة ،الى غير ذلك مما يوجب ركون الناس الى اتباع اوامره واجتناب نواهيه فلا يكون الرسول مشركا او زانيا او منتسبا للزنى او شارب خمر ،اذ كيف يرسل الله سبحانة من وصف بهذه الصفات وهم القدوة الصالحة الذين يجب اتباعهم .

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن ص٦٦ تفسير ال عمران
(٢) سورة القصص آية ١٤

لذلك تحدث المتكلمون عن صفات الرسل اجمالا وتفصيلا ، فما يجب للرسل تفصيلا ، اتصافهم بالصدق والفطنه والعصمة من الوقوع فى الخطأ . وسوف ابين ذلك فى السطور الاتية .

اولا : الصدق

الصدق هو مطابقة الخبر للواقع ولو بحسب الاعتقاد وهذا التعريف يوضح لنا ان للصدق اطلاقين :

الأول : وهو الاعم هو مطابقه الخبر للواقع بحسب الاعتقاد وان لم يكن مطابقا فى نفس الامر . مثال ذلك ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لذى اليدين حين سأله (اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله) وكان الرسول قد سلم بعد ركعتين فى صلاة رباعية فقال الرسول (كل ذلك لم يكن) .

فهذه تبين لنا معنى الصدق بحسب الاعتقاد فقط وان لم يكن مطابقا للواقع فقد سلم الرسول بعد ركعتين معتقدا انه سلم بعد اربع ولم يكن ذلك مطابقا للواقع ونفس الأمر ، فهو اذن صدق بحسب الاعتقاد .

الثانى : وهو الأخص ، هو مطابقة الخبر للواقع ونفس الأمر . مثل إخبار الانبياء بأنهم ارسلوا الى الخلق . ومثل كل مايتعلق بالوحى .

الدليل عليه

الدليل النقلى : قال تعالى : (وصدق الله ورسوله) الأحزاب آية ٢٢
وقال تعالى : (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى) النجم ٣ـ٤

الدليل العقلي :

١ـ ان بعثته مع العلم بكذبه تنافي الحكمة ،لأن الكذب منفر في باب الأخبار وقد نصب الله الرسول للخبر،فيجب ان يكون معصوما مما ينفر ليكون ذلك أدعى الى القبول منه وأبعد عن التنفير واقوى ماينفر في ذلك الكذب .

٢ـ صدور الكذب من الرسل يؤدى الى بطلان دلاله المعجز . لانه بمثابة قوله تعالى : (صدق عبدى فيما يبلغ عني) فيكون تصديقا للكاذب وتصديق الكاذب كذب وهو محال على الله تعالى .

٣ـ كذلك فإن الرسول مبعوث لصلاح البشرية بما أمر بتبليغه الى البشر فلولم يكن صادقا كان في ذلك ضياع للفائده وفساد للبشريه من حيث أريد لها الصلاح[1].

وعلى ذلك فالصدق واجب في حق الرسل ،اما ماكان من ابراهيم ـ عليه السلام ـ مما قصه القرآن الكريم ويوحي وقوع الكذب منه في قوله تعالى : (بل فعله كبيرهم هذا) فهو محمول على التوبيخ لهم،للتنبيه على ان الذى يعبدونه من دون الله لا يملك لهم نفعا ولاضرا .
ودليل ذلك قوله تعالى بعده : (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) وكذلك قوله تعالى : (ثم نكسوا على رؤسهم) وقوله تعالى : (قال افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ،أف لكم ولما تعبدون من دون الله[2])
فكل ذلك يدل على توبيخه لهم ولا يدل على وقوع الكذب منه في الحقيقة .

---

(١) انظر المغنى للقاضى عبد الجبار ح ١٥ ص ٢٨١.

(٢) سورة الانبياء ايه ٦٦،٦٧ (٣) سورة المائده ايه ٦٧

(٤) سورة النساء ايه ١٦٥

ثانيا التبليغ

وهو ايصال الرسل جميع ما أمروا بتبليغه إلى من ارسلوا اليهم

والدليل النقلي على ذلك :

قوله تعالى : (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك)(١)

وقوله تعالى : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)(٢) فوصفهم الله تعالى ـ هنا ـ بالتبشير والانذار وهما لا يكونان الا بالتبليغ .

الدليل العقلي :

اولا : لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه لكنا مأمورين ـ اقتداء بهم ـ بكتمان العلم ، لكن كتمان العلم باطل لأن كاتم العلم ملعون فيبطل ما يؤدي اليه من كتمانهم اي شيء امروا بتبليغه .

ثانيا : لو جاز عليهم كتمان شيء ما امروا بتبليغه الى من ارسلوا اليهم لكتم رسول الله ـ ص ـ بعض آيات العتاب .

مثل : (واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله احق ان تخشاه)(٣)

وقوله تعالى : (ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن* في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة)(٤)

وقوله تعالى : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)(٥)

---

(٣) سورة الأحزاب آيه ٣٧ (٤) سورة الأنفال آيه ٦٧

(٥) سورة الفتح آيه ٢ (١) المائده ٦٧ (٢) النساء ١٦٥

* يبالغ في قتل المشركين واقهر العداء قبل الاسرين (٤ بحر)

ثالثا : الفطانة

الفطانه هى التيقظ للأمور وحدة العقل وذكاوه حتى يتمكن المتصف من الزام المخالفين ورد دعاويهم الباطله وافحام المعاندين ·

ودليل اتصاف الرسل بها كما ذهب اليه المتكلمون انه لو انتفت عنهم لكانوا غير قادرين على محاجة الخصوم وهذا باطل بما جاء فى الكتاب الحكيم من اقامتهم الحجج البالغه والبراهين القاطعة فى مواضع كثيرة ·

قال تعالى : (وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه)
وقال تعالى : حكاية على قوم نوح
(قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا)
وقال تعالى لنبينا الكريم :
(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه وجادلهم بالتى هى احسن)

الى غير ذلك من الآيات التى تدل على ثبوت الفطانه للرسل عليهم السلام·

فلو لم يتصف الرسل بالفطانه لاتصفوا بضدها من غفله وبلاد فكانوا ناقصين فى العادة ·· وهذا النقص لا يتفق وهذه المكانه العاليه التى اختارهم لها ربهم ·

رابعا : الامانه (العصمة)

العصمة فى الأصل هى المنع ولهذا قال الله تعالى :
(لا عاصم اليوم من امر الله(١)) أى لا مانع .

(١) سورة هود آيه ٤٣

وقد عرفها جمهور المتكلمين بأنها :

حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من ترك مأمورا به ولو ندبا او فعل منهي عنه ولو نهي كراهة او خلاف الأولى بعد البعثه وقبلها ولو في الصغر .

فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والفجور والغش وغير ذلك من المنهيات الظاهره . كما انهم محفوظون باطنا من الحقد والحسد والكبر والرياء وغير ذلك من المنهيات الباطنة .

وهي لطف من الله تعالى بالعبد يحمله على الخير ويزجره عن الشر .

الدليل عليها :

ذكر المتكلمون لوجوب الامانه (العصمه) للرسل أدلة نقلية وعقلية تذكر منها ما يلي :

النقلي : قوله تعالى : (إني لكم رسول امين)

العقلي : عدم الأمانه يؤدي الى الخيانة والخيانة نقص لا يليق بذواتهم ... واذا انتفت الخيانه ثبتت الأمانه وهو المطلوب .

انهم لو خانوا بفعل محرم او مكروه او خلاف الأولى ما كنا مأمورين باتباعهم والله لا يأمر باتباع الخائنين ، فانتفت الخيانه وثبتت الأمانه .

اذن فالعصمة للأنبياء واجبه وثابته بالدليل النقلي والعقلي ، وجوبا لا شك فيه ، الا أن هناك بعض الآيات القرآنية توهم بظاهرها وقوع المعصيه

من الأنبياء ، لهذا تحتم علينا عرض هذه الآيات التى اتخذها المنكرون لعصمة الأنبياء دليلا لهم ، ولكن قبل عرض هذه الآيات والشبهة التى قال بها المنكرون سوف اعقد بحثا للتعريف بالمعصية وأنواعها وما يتوهم منها أن تقع من الرسل .

أنواع المعاصى

المعاصى اما مكفره واما غير مكفرة ، وغير المكفرة اما كبيره أم صغيرة .

فالمعاصى المكفرة فقد اجمعت الأمه على عصمة الأنبياء من الكفر قبل النبوة ، وبعدها الا الأزارقة من فرقة الخوارج فقد جوزوا عليهم الكفر ، حيث أنهم أجازوا وقوع الذنب من الرسل والذنب عندهم كفر ، وان لم يصرحوا بذلك .

وما يحكى عنهم تجويز ارسال من علم الله وقوع الكفر منه بعد الرسالة ، ومنهم من جوز بعثته لمن كان كافرا قبل الرساله ، وهو قول ابن فورك ، الا أنه ذهب الى عدم وقوعه فى الحقيقه وان كان جائزا .

وأما الشيعة فقد جوزوا الكفر من الأنبياء تقية[1]، واستدلوا على ذلك : بأن اظهار الاسلام ان كان مؤديا الى القتل كان اظهاره القاء للنفس فى التهلكة . وقد نهى الله ـ تعالى ـ عن القاء النفس فى التهلكة ، بقوله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) (٢) .

---

(١) التقية هى اظهار عكس ما يبطن خوفا من البطش

(٢) سورة البقرة آية : ١٩٥

وقد رد البعض القول بالتقيه ذلك لأن التقيه فيها فوات الفائدة والمصلحة وهو غرض الرسالة ، من حيث أن الرسول تعظم مرتبته لما يتحمل من اعباء أداء الرسالة والصبر على كل عارض له ، والتقية من جملة العوارض فى أداء الرسالة .

كذلك القول بالتقيه مردود لما علم من تاريخ الأنبياء وتحملهم الأذى والاهانة فى سبيل نشر الدعوة دون تخاذل وذلك مثل دعوة ابراهيم ـ ص ـ فى زمن النمرود ، وموسى ـ ص ـ فى زمن فرعون مع شدة الخوف من الهلاك (١) .

وعلى ذلك فالتخويف بالقتل لا يجوز أن يكون سببا فى جواز اظهار الكفر من الرسول وامتناعه من اداء الرساله لما فى ذلك من فوات الفائدة والمصلحة فى البعثة .

الكبائر :

جمع كبيرة وهى بعد الكفر وهى :

١ـ الزنا لأنه حرام فى جميع الأديان من لدن آدم الى عصر نبينا ـ ص ـ لاشتباه الأنساب وهى من المفاسد وهى من المفاسد لقوله تعالى : (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) .

٢ـ شرب الخمر وأن قل ولم يسكر ، لقوله تعالى : (انما الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) ، وقال الرسول شارب الخمر كعابد الوثن .

٣ـ شرب النبيذ الى أن اسكر واعتقد تحريمه .

---

(١) المغنى حـ١٥ القاضى عبد الجبار

٤ ـ الحضـور مع أهل السـيئة ٠

٥ ـ السـرقة وهى أخذ مال الغيـر قد ر نصـاب ٠

٦ ـ قتل النفـس بغير حق عمدا ويدخل فيه قتل نفسـه وقتل والده خشيه أن يأكل معـه (ولا تقتلوا أولادكم خشيه املاق) (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) ٠

٧ ـ قـذف المؤمنـه المحصنـة ٠

٨ ـ كتم الشـهادة عند تعين الآداء (ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها انه آثم قلبـه)

٩ ـ شـهادة الزور لأنه جمع بين الكذب واضرار المسـلم ٠

١٠ ـ اليميـن الغموس وهو تعمـد الكذب بالحلفـان ٠

١١ ـ أكل الربا ـ ومال اليتيم ـ الرشـوه ـ وعقوق الوالديـن ـ قطع الرحـم (١) ٠

موقف المسـلمين من وقوع الكبائـر من الأنبيـاء :

١ ـ يرى البعض عصمة الأنبيـاء من وقوع الكبائر منهم فى زمن النبوة ، على أنه جائـز قبل البعثة ٠ واسـتدلوا على ذلك بأفعال اخوة يوسف وهذا جائز على سبيل الندرة (٢) ٠

٢ ـ ويرى البعض الآخر أن العصمه من الكبائر واجبه قبل وبعد البعثة ٠ وذلك يعرف عن طريق العقل فان العقل يحكم بأن وقوع الكبائر قبل البعثة ينفر عن القبول منه ٠ وكذلك العادات الجارية بين الناس تثبت أن وقوع ماينفر يكون صارفا عن الاقتداء بالفاعل (٣) ٠

---

(١) الصغائر والكبائر للعالم الفقيه الشهير بن بخيم المصرى الحنفى ٠

(٢) محمد عبده بين المتكلمين والفلا[illegible] ص ٦٣٩ ٠ وهو رأى الأشاعرة ٠

(٣) المغنى حـ ١٥ رأى المعتزلة ٠

٣ـ ويرى البعض أن وقوع الكبائر ـ سوى الكذب ـ من الرسول جائزه قبل البعثة وبعدها وجوزا الجميع ـ أى مع الكذب ـ قبل النبوة . وقد استدلوا على ذلك بما قالوا من أن داود هم بامرأه أوريا وعشقها ويوسف هم بامرأه العزيز الى غير ذلك (١) .

واستدلالهم هذا باطل لاأصل له وسوف يتبين ذلك ان شاء الله تعالى فى رفع الشبهه التى توهم ذلك .

الصغائر

هى مادون الكبائر المذكورة آنفا .
وهى اما أن تقع من الأنبياء عن عمد أو عن سهو ، واما فى التبليغ أو فى غير التبليغ .

قال البعض أن الأنبياء معصومون عن تعمد الصغائر ، مع جواز وقوعها سهوا ، مع عدم الاصرار عليها بعد التنبيه عليها . لأن النسيان لاحساب عليه ، فهو يخرج الانسان من التكليف ، ولذلك فلا تكليف للمجنون والصبى ولاعقاب على الفعل الذى وقع بطريق السهو (٢) .

وقال البعض الآخر ان الرسل معصومون من الصغائر المنفرة والتى يستحق فاعلها العقاب قبل البعثة وبعدها ، وأما الصغائر التى لايستحق فاعلها العقاب فهى جائزه على الرسل (٣).

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص٥٧٣ وهو رأى الحشوية
(٢) شرح جلال الدين على العقائد العضديه للايجى وهو رأى الأشاعره
(٣) شرح الأصول الخمسة ص٥٧٥ وهو رأى المعتزلة .

ولا يجوز من الرسول السهو فيما يؤديه عن الله -تعالى- وذلك لتمام الفائدة والمصلحة التي هي مقصود الرسالة . وأما السهو فيما لا يتصل بالدين وفيما هو خاص به من الأفعال فهو جائز في حقهم .

والدليل على ذلك الحديث الذى رواه البخارى (أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون) وقوله -ص- في الحديث الذى رواه رافع بن ضريح : (انما أنا بشر اذا أمرتكم بشئ من رأيي فانما أنا بشر) (١) .

---

(١) تفسير النسفي حـ٤ صـ١١٦

شبه الطاعنين فى تنزيه الانبيـــاء

مما سبق يتضح أن الانبياء معصومون من الاخطاء عند متكلمى الاسلام ، الا أن هناك من طعن فى ذلك ولهم فى ذلك شبه سوف أورد بعضها مع بيـان موقف القاضى عبد الجبار من كل وذلك لما يراه من وجوب العصمة للرسل .

أولا : ما جاء فى حق آدم عليه السلام :

الشبهه الاولى :-

قال المنكرون لقد وقع من آدم الظلم والكبائر ، وأنه مع ذلك لم يخرج عن أن يكون نبيا مؤمنا فقد حكى القرآن عن آدم وزوجه أنهما :

(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)(١)

فانهما نسبا أنفسهما الى الظلم الذى يقتضى الذم وأخبرا عن حالهما بأنـــه لو لم يغفر لهما فسيكونان من الخاسرين . وذلك لا يصح فيمن ذنبـــه مغفور ومعصيته صغيره .(٢)

---

(١) سورة الاعراف . آيه : ٢٣
(٢) متشابه القرآن . ص٢٧٢ . القاضى عبد الجبار .

موقف القاضي :ـ

قال القاضي انه بين من حالهما أنهما أقدما على ما نهاهما عنـــه ربهما وان كان ذلك عند ذهابهما عن الاستدلال ـ عن طريق التمسك لأنهما لم يتناولا ما أشير اليه بالتحريم ، لكنهما دلا على ان المراد الجنس فظناه العين وكان الواجب عليهما ، أن يستدلا بما نصب من الدليل فيعرفا المراد به ، فلما ذهبا عن ذلك وأقدما على الأكل منه كانا ظالمين لأنفسهما لأنهما حرماها بعض ما حصل لهما من الثواب ، ثم قال رحمه الله (والمفوت على نفسه المنافع كالجالب اليها الضار ، فى أنه يوصف بأنه ظالم لنفســه ولذلك نسبا أنفسهما الى الظلم ووصف الظالم بأنه ظالم ليس بذم لأنه يجرى على طريق الاشتقاق .

ويمثل ـ رحمه الله ـ ذلك بقول العرب هو أظلم من حية وان لم يصح فيها الذم ، واذا أريد به الذم صار منقولا . ويفرق القاضي بين ذلك وبين قول الفاسق بأنه فاسق فانه يدل على الفسق من طريق الشرع ، ولذلــك استعمل على خلاف طريقته فى اللغة ، وليس كذلك وصف الظالم بأنه ظالـم فلا يدل ذلك على أنهما أقدما على كبير واستحقا الذم .

وقال رحمه الله أن قولهما فى قوله تعالى (وان لم تغفر لنا) محمول على ظاهرة لأنه تعالى لو لم يغفر لهما ذلك وأخذهما بعقابه لكانا من الخاسرين فى الحقيقه وليس فى الكلام انه لو فعل ذلك لحسن ، والتقدير فى الفعل لا يدل على حال المقدر واذا وقع كيف يكون فى الحسن والقبيح ، ولولا ان الأمر على ما قلناه لوجب أن يحسن ذمهما ، وأن يجوز لعنهما ، لأن من استحق العقاب يحسن ذلك فيه ، وهذا باطل على لسان الأمة فى الأنبياء .

وأما قولهم بأن المعصيه كانت كبيره بدليل اخراجه تعالى لهما من الجنه فان القاضي يرده على ذلك بقوله (لأن حرمان المنفعه لا يدل على أنه على سبيل العقوبه ، كما أن نزول الضرر لا يدل على ذنب لأنه قد يجوز أن يكون على طريقه المحنه والاعتبار ، كما يفعله الله تعالى في الأنبياء عليهم السلام من الأمراض والأسقام ، ويجوز أن يكون عقوبه فإذا انصرف الى وجوه فمن أين لنا أن ذلك وقع لهما على طريق العقوبه ؟
وكيف يصح ذلك وقد تابا وأنابا ؟ ولا يقول المخالف في التائب الباذل – انه يعاقب على ذنبه ولو جاز أن يعاقب لجاز أن نتعبد بذمهما ولعنهما وكل ذلك يبين أن ما فعله تعالى من الاهباط من الجنه كان على طريق المحنه والمصلحه .

الشبهه الثانيه :–

قال المنكرون ان قوله تعالى :

(هو الذى خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين ، فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما [1] .

---

(١) سورة ، الأعراف ، الآيتان : ١٨٩ : ١٩٠

فان ذلك يدل على أن الكفر والشرك يجوز وقوعهما من الانبياء عليهم السلام لأنه لم يتقدم الا ذكر آدم وحواء فيجب أن يكون الشرك مضافا اليهما.(1)

موقف القاضي :-

يقول القاضي في ذلك (انه كما ذكر آدم فقد تقدم ذكر من خلق منه بقوله تعالى :

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة)

لأن ذلك عباره عن ولده ، وقد تقدم ايضا ذكر ولد آدم بقوله ـ تعالى:

(فلما آتاهما صالحا) . لأن المذكور بذلك غيرهما .

ثم يقول القاضي (فلما صار قوله جعلا له شركاء بأن يرجع اليهما أولى من أن يرجع الى ولدهما ، وقد قال في آخر الكلام :

(فتعالى الله عما يشركون)

فهذا دليل على أن الكلام رجع الى الجمع المذكور متقدما ، ويستدل القاضي على ذلك بقولـه :

فاذا تقدم ذكر أمرين ، ودل الدليل في أحدهما على امتناع الحكم عليـه ، فالواجب أن يرد الحكم الى المذكور الآخر باضطرار، وقد علم أن آدم لا يجوز أن يكون قد أشرك في الحقيقه وكذلك حواء ، فاذا علم نفي ذلك عنهما لـم يبق الا رجوع الكلام الى المذكور الآخـر)

---

(1) متشابه القرآن . ص ٢٧٩ ، ٣٠٩

ويقول رحمه الله (ان تقدير الكلام انه خلق كل نفس منكم من نفس واحده ، الذكر والانثى وجعل منها زوجها من النفس الواحده ، ثم ساق الكلام فى وصف آدم وحواء وبين أنهما دعوا الله أن يرزقهما ذريه صالحه أو ولدا صالحا ، وأراد بذلك الجنس دون ولد واحد .

فقال تعالى : (فلما آتاهما صالحا)

يعنى فلما أجابهما بما طلبا فرزقهما الولد الصالح المشتمل على الذكر والانثى (جعلا له شركاء فيما آتاهما) يعنى الولد الذى رزقهما دونهما ، وعلى ذلك صح تعلق قوله تعالى :

(فتعالى الله عما يشركون) بالجمع ، لانه اذا أريد به الذكر والانثى من الانفس المخلوقه من النفس الواحده ، صلح رد الكلام اليهما بذكر التثنيه ، واذا أريد به الانفس المخلوقه التى هى جمع صالح وصفهما بالجمع .

ثم يفسر رحمه الله المراد بالصالح هنا فيقول ان يكون صحيح الجسم قويا ، ولا يمتنع ذلك من أن يكون مشركا . وقال ان أراد صالحا فى الدين فلا يمتنع ان يكون كذلك ثم يقع منه الشرك بعد ذلك)

ما جاء فى حق ابراهيم - عليه الصلاة والسلام :-

١) قال المنكرون لعصمه الانبياء أن قوله تعالى :-

(واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن) [١]

---

(١) سورة البقرة . آيه : ٢٦٠

تدل على جواز الجهل بالله فى حق الأنبياء .

موقف القاضى :ـ

يقول القاضى (ان طلبه من الله تعالى أن يريه عيانا من غير تدرج كيف يحيى الموتى لا يدل على أنه لم يؤمن ولم يعرف ربه. لكنه أراد بذلك الازدياد من الايمان ، فهو بمنزله أن يطلب منه ـ تعالى ـ شرح الصدر بالألطاف وهذا مما يحسن طلبه ، ويستدل رحمه الله ـ بقوله تعالى (قال أو لم تؤمن قال بلى)

ويقول القاضى (أن مشاهده احياء الموتى على طريقه التدرج المعتاد فى باب الدلاله ضرب من الظهور والكشف لا يمتنع معه ان يطلب الرسول من الله تعالى أن يفعله ليزداد طمأنينه قلب وشرح صدر . (١)

٢ـ تمسك المنكرون كذلك بما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى :
(فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى) (٢)

على أنه يدل على وقوع الكفر من ابراهيم :

موقف القاضى :ـ

قال القاضى ان ابراهيم كان يستدل بذلك على وجود الله لأن ذلك وقع منه فى حال النظر ، ولذا قال بعده (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) .

---

(١) متشابه القرآن ص ١٣٥ ، ١٣٦
(٢) سورة الانعام ، آيه : ٧٦

فاستدل بحركته وغيبته على أنه ليس برب وكذلك قوله فى الشمس والقمر ، ودليل ذلك ما قاله فى آخره (انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والارض حنيفا وما أنا من المشركين)

وعلى ذلك نفى عن نفسه الاشراك بالله والكفر مما يوضح أن ما كان منه مسبقا كان على سبيل الاستدلال بالله عن طريق السماوات والارض . (١)

٣ـ كذلك قال المنكرون ان فى قوله تعالى ـ حكاية عن ابراهيم :ـ

(بل فعلهم كبيرهم هذا)

ما يدل على وقوع الكذب من أبراهيم ، لأن الذى كسر الاصنام كما جاء به ظاهر ، قوله تعالى :

(وتالله لأكيدن من أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم ، جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون) (٢)

هو أبراهيم نفسه وكان جوابه غير مطابق للواقع مما يدل على الكذب .

موقف القاضى :ـ

ذهب القاضى الى أن ما كان من أبراهيم كان توبيخا لهم على أن الذى يعبدونه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، والا كان نطق وكذب ابراهيم ، ودل على

---

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن . ص ١٣٣
(٢) سورة الانبياء . آيه : ٥٧ ، ٥٨

أنه الكاسر للأصنام ، ويدل على ذلك قوله بعده :

(فاسألوهم ان كانوا ينطقون) قال (ثم نكسوا على رؤسهم) ثم قال بعده :

(أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله)(١) .

وكذلك يدل على صحه ما ذهب اليه القاضي ، وذلك انه لمن السخرية أن يبعث الله ما يقع منه الكذب لانه حينئذ لم يأمن أن يكذب في الدعوه الى الله .

ما جاء في حق موسى — عليه الصلاة والسلام :—

(١) ان موسى قد أمر بالمعصيه حيث قال للسحرة فيما حكاه عن القرآن الكريم

(القوا ما أنتم ملقون)

وهذا يدل على وقوع المعصيه من الانبياء وذلك بالأمر بها فان الأمر بالمعصيه معصيه .

موقف القاضي :—

يقول القاضي أن قول موسى — عليه السلام — ليس على وجه الامر لكن على وجه التعريف بأنهم مبطلون وأن باطلهم ينكشف بما سيأتيه فهو قريب من تحدى الانبياء بالمعجزات(٢)

---

(١) سورة الانعام ، آية ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .
(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ، لقاضي القضاه ، ص ١٨٠

٢ـ قال المنكرون ان قوله تعالى (فوكزه موسى فقضى عليه) . (١)
يدل على وقوع القتل من الأنبياء لمن لا يحل دمه من الناس ، وهذا قادح
فى عصمة الأنبياء .

موقف القاضـــــى :ـ

يقول القاضى أن وكزه كان على وجه الدفع لما أراد مخاصمته ، ولم يكـن فى ظن موسى (ع) أن هذا يؤدى الى قتله ، ويمثل القاضى ذلك بما فى الشاهد من أن الوالد قد يؤدب ولده بالضرب فيؤديه ذلك الى موته ، وما وقع مـن موسى كان من الصغائر التى يجوزها القاضى على الأنبياء ولذلك قال :
(هذا من عمل الشيطـــان)

وأما ما ذكره صاحب المواقف من أن ذلك كان قبل النبوة ،(٢) فهذا مـــا آراه لا يتفق مع عصمة الأنبياء ، وذلك لأن القتل من الكبائر ويعنى ذلــك صحة صدور الكبائر عن الأنبياء قبل البعثة وهذا من المنفرات التى تصـــرف الناس عن القبول منهم بعد البعثــة .

وعلى ذلك ما ذهب اليه القاضى من أن القتل وقع منه مع عدم القصد الـــى ذلك فانى آراه محيطا كافيا فى رد الشبهة لاتفاقه وعصمة الأنبياء من الكبائـــر قبل البعثة وبعدها كما ذهب اليه اكثر المتكلمين ، وعدم خروجه على حد العقل

---

(١) سورة القصص . آية : ١٥
(٢) المواقف . ص ٣٦٢ . طبعة بيروت .

(٣) قال المنكرون ان قولـه تعالى :ـ

(يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) (١)

يدل على وقوع العنف من الانبياء فضلا عن أن يكون أخيـه •

موقف القاضـى :ـ

يقول القاضى أن حقيقة ذلك كما جاء فى القرآن الكريم هو أن موسـى أخذ برأسه يجره اليه ليظهر لبنى اسرائيل غضبه عليهم ومثل ذلك يحسـن كما يحسن ان يأخذ نفسه والذى كان من موسى(ع)هو أرادته ان يفعل ما يقـوم مقام الغضب والانكار بدلا من أخذ رأسه ، كما أن ظاهر القرآن لا يـدل على وقوع الفعل من موسى وان اظن هارون وقوع ذلك فيه •

(٤) قال المنكرون ان فى قوله تعالى :ـ

(وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليـم نسفـا) (٢) •

وذلك على العجل الذى اتخذه الها ما يدل على وقوع الشرك من الانبياء •

موقف القاضـى :ـ

يقول القاضى أن مراد موسى(ع)من ذلك هو التوبيخ لاتخاذه العجل الهـا دليل ذلك ما جاء فى بقيـه الايـهـ •

---

(١) سورة طـه • آيه : ٩٤
(٢) سورة طه • آيه : ٩٧

وقبل ان انتقل الى شبهه أخرى لى وقفه هنا على رد القاضى لهذه الشبهه ذلك ان رده هنا جاء ضعيفا واهيا ولو انه قرأ السوره جيدا لعرف أن الذى يجه له هذا التوبيخ هو السامرى وليس هارون وعلى ذلك فلا يكون هناك أساسا للشبهه أصلا ، وحقيقه ذلك كما جاء فى كتابه العزيز قوله تعالى :

(قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينه القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى ، أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ، ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى ، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ، قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ، ألا تتبعن أفعصيت امرى ، قال يا ابنؤم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى ، قال فما خطبك يا سامرى ، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضه من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى ، قال فاذهب فان لك فى الحياه أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وأنظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ، انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) (١)

فالآيات تدل على أن المخاطب هو السامرى الذى صنع العجل ليعبدوه ٠

---

(١) سورة ٠ طه : الآيات من ٨٧ الى ٩٨

ماجاء فى حق شعيب :ـ

ـ ١ـ قال المنكرون أن قوله تعالى :ـ

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا) (١)

يدل على أن ملتهم كان عليها شعيب من قبل وذلك كفر .

موقف القاضى :ـ

قال القاضى قد صح أن الكفر لا يجوزان على الأنبياء وعلى ذلك فيكون المراد بالآيه الكريمه أو لتدخلن فى ملتنا على وجه التهديد ولذلك كان جوابه (قال أو لو كنا كارهين)

ويقول رحمه الله ـ مستشهدا بما فى اللغه أنه " قد يقال عاد فى كذا اذا ابتدأه كما يقال ان زيدا عاد الى ما يكرهه أو يحبه وان كان من قبل لم يفعل)

٢ـ كذلك قال المنكرون ان فى قوله تعالى :ـ

(وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) (٢)

---

(١) سورة الأعراف . آيه : ٨٨
(٢) سورة الاعراف . آيه : ٨٩

يدل على تجويز ان شاء الله عوده شعيب الى ملتهم مع أنها كفر ، وهـــذا يدل على وقوع الكفر من الانبياء .

موقف القاضى :ـ

يذهب القاضى الى أن المراد بذلك التمهيد متعلقه بالمشيئه التى يعلم انها لا تكون .

قوله تعالى :ـ

(ولا يدخلون الجنه حتى يلج الجمل فى سم الخياط) (١)
ويقول القاضى ، انه يحتمل انه أراد الله الملة التى هى الشرائع ويجوز أن يعيد الله بمثلها بعد النهى على وجه النسخ . (٢)

ما جاء من شبه حول قصه داوود :ـ

١) قال المنكرون بما كان فى التوراه من قصه داوود وزواجه من زوجـــه أوريا ، وأنه عليه السلام عرضه للقتل فيها الى غير ذلك مما يدل على وقـــوع المعاصى من الانبياء .

---

(١) سوره الاعراف ، آيه : ٤٠
(٢) تنزيه القرآن ، ص : ١٥٠

موقف القاضي :ـ

يقول القاضي ان صحه هذه القصه ان هذه المرأة التي رغب فيها داود قد صارت بلا زوج بعد مقتل زوجها فخطبها داود بعد ان خطبها غيره فسكت امرأة أوريا اليه ولم يسأل عن خطبتها هذه فصار عدم السؤال منه والاستفسار لأمرها ذنبا صغيرا ، وانما كان العتاب من الله تعالى وتنبيهه من حيث صار غافلا عن خطبه من سبقه ، وكان يمكنه أن يستعلم عنها ولا يقدم على الخطبه بعد تلك الخطبه . (١)

٢ـ تمسك المنكرون بظاهر قوله تعالى :ـ

(وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) (٢)

وقصه هذه الآيه أن زرعا أوكرما تدلت عنا قيده نفشت غنم غير صاحبه فأكلت ثماره الموشكه على الجني ، ورفع هذا الأمر الى داود ـ عليه السلام لصاحب الحرث بالغنم عوضا عن زرعه الذي أتلفته الغنم ليلا فقال سليمان أرى أن تدفع الغنم الى أهل الزرع فينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها على حين أن يدفع الحرث الى أهل الغنم فيقومون على زراعته وتربيته حتى اذا صار كيوم أن نفشت فيه الغنم فأتلفته يرد لصاحب الماشيه ماشيته ولصاحب الزرع زرعه .

---

(١) تنزيه القرآن ، ص ٣٥٧
(٢) سوره الأنبياء . آيه: ٧٨ ، ٧٩

قال المنكرون للعصمة فى ذلك انه لو كان داود مصيبا فى حكمه ما قال الله تعالى :ـ

(ففهمناها سليمان)

موقف القاضى :ـ

قال القاضى ان الذى فهمه سليمان نسخ لما كان حقا فى وقت داود ـ والنسخ ـ كما سبق ـ لا يدل على المخالفة فى الكلام ، وعلى ذلك فما حكم به داود كان مصيبا فى وقته ، وكذلك ما كان من سليمان كان حقا لأنه ناسخ لما كان فى وقت داود .(١)

ولذا قال القاضى ان ظاهره ليس أنهما حكما فى القضية المذكورة وانه تعالى عالم بحكمهما ، وأنه فهم سليمان ، ولا يدل شئ من ذلك على ما ظنه القوم لأنه تخصيصه سليمان بالذكر لا يدل على أنه لم يفهم داود ، ولم يدله على الحق ، ولو كان صحيحا انه أخطأ فى القضية فلا يدل ذلك على أنه تعالى أضله ، لأن مع البيان قد يجوز أن لا يتبين المكلف على بعض الوجوه) .

ويذهب القاضى فى تفسير هذه الآية مذهب ابو على الجبائى فيقول ان المراد بهذه الآية انه تعالى قد كان نسخ الحكم الذى حكم به داود على لسان سليمان وأنزل عليه النسخ لذلك والزمه ان يعرف داود ذلك .

---

(١) انظر تنزيه القرآن عن المطاعن ص٢٥٨، ١٥٠، ٢٥٧، ٢٦٦ وذلك على ترتيب ما سبق .

، ولذلك خصه بفهم المنسوخ أما غير هذا الحكم وهو الناسخ لما سبق فيعرف من قبل سليمان ، وهذا لا يمنع ان يكون داوود مصيبا فى حكمه ان حكم بالمنسوخ ، لانه ليس لديه دليل على نسخه . ولذلك قال تعالى :

(وكلا آتينا حكما وعلما) (١)

ولو كان قد أخطأ أحدهما فى الحكم لما صح منه تعالى الثناء عليهما جميعا .

والنسخ جائز لقوله تعالى :-

(ما ننسخ من آيه أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) (٢)

وأما ما قيل من أن داوود كان يعلم الحكم الا انه سكت عنه وأفتى بغيره امتحانا لابنه سليمان رجاء أن يحكم به وتقر عينه بما حكم .

فانى لا أرى ذلك صوابا هنا لأن ذلك تعميه (٣) لا تجوز على الانبياء كما أن قوله تعالى : (وكلا آتينا حكما وعلما) يدل على ما قال به القاضى لأن هذا القول يدل على ان كلا الحكمين من عند الله وليس بأن ما حكم به داوود عن تعميه امتحانا لولده .

ما جاء فى حق سليمان عليه السلام :-

(١) تمسك المنكرون بما فسروه خطأ فى قوله تعالى :-

(ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) (٤)

---

(١) متشابه القرآن . ص ٥٠٣

(٢) سوره البقره . آيه : ١٠٦

(٣) التعميه الاخفاء ، والعمى ذهاب بصر القلب .

(٤) سورة ص آيه : ٣٤

قالوا ان ذلك يفيد انه عزل عن النبوه وصار على كرسيه بعض الشياطين ، —
ويستدلون بذلك على وقوع الذنب منه ٠

موقف القاضي :—

يستنكر قاضي القضاه ما فسره المنكرون لهذه الآيه ، من أن سليمان يعزل ويوءخذ خاتم ملكه ويصير الى بعض الشياطين ، ويطأ ذلك الشيطان نساءه ويقول ، ان ذلك مما لا يجوز على الأنبياء ، وقد رفع الله قدرهم عن ذلك ٠

وأما حقيقه هذه الآيه كما يراه قاضي القضاه ان سليمان وقد أعطاه الله من القوه تفكر في كثير نسائه ومماليكه فقال اني لأطأهن في ليله واحده ، فيحملن ويحصل لي من الأولاد العدد الكثير ، ففعل ولم تحمل منهن الا واحده وولدت جسدا غير كامل الخلقه فحمل ذلك الجسد على كرسيه فنبهه عند ذلك على ان الذى فعله من التمنى كالذنب وانه قد كان من حقه ان ينقطع الى الله — تعالى — فيما يرزق من الأولاد قل أو كثر فأناب عند ذلك وتاب مما كان منه (١) ٠

وقد حكى عن رسولنا الكريم سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم ما يشبه ما قاله القاضي الا ان الرسول الكريم علق ذنب سليمان على عدم قوله ان شاء الله لقوله — صلى الله عليه وسلم ((فو الذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا))

---

(١) انظر تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٣٥٩ في تفسير سورة ص

وعلى ذلك فالذى كان من سليمان ـ عليه السلام ـ هو ترك المشيئـــه وهذا فيه خلاف الأولى فعده سليمان ـ عليه السلام ـ ذنبا واستغفر منـــه وهذا لا يقدح فى العصمـــه . [1]

٢ـ تمسك المنكرون بقوله تعالى (رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحـــد من بعدى انك انت الوهاب) [2]

على أن ذلك يدل على رغبه الأنبياء فى الدنيا وعلى ما يجرى مجرى المنافسه والحقد والحســـد .

موقف القاضـــى :ـ

يرى القاضى انه ليس فى ذلك ما يشبه الحسد المذموم لأنه يكون حاسـدا اذا أراد ضم نعيم غيره اليه ، فأما اذا أراد لنفسه أعظم المنازل من اللــه تعالى ابتداء مع ارادته بقاء سائر النعم فى أهلها فلا وجه ينكر ، وليس فـــى ذلك حسدا أو حقدا على أحد . ويذهب القاضى الى أنه لا يمتنع وهو نــبى أن يرغب الى الله عز وجل فيما يظهر به فضله وكرامته عند الله ، ولذلك ـ قال تعالى :

(فسخرنا له الريح)

الى سائر ما ذكر مما يدل على إنه أجاب دعاءه ، وأظهر فضله بهذه الأمــور التى اختص بها .

---

(١) انظر كتاب القول السديد فى علم التوحيد للشيخ محمود ابى دقيقه ص٢٨٣
(٢) سورة . ص . آيه ٣٥

ومن ناحية أخرى نرى الفخر الرازى يذهب فى تفسير ذلك الى أنه لمـا كانت نفس سليمان ملتفته الى مملكه الدنيا فقد قال ما حكاه عنه القرآن من قوله تعالى

(رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى)

أى حتى أذوقه فيفرغ قلبى عنه فيزول شغل الالتفات اليه فيخلص لطاعتك والاشتغال بعبادتك . (١)

الا اننى من جانبى أرى أن تفسير الرازى هذا وأن كان يبعد سليمان عن أن يكون حاسدا حاقدا لكنه من ناحية أخرى يقدح فى اخلاص سليمان فى طاعة الله لو لم يعطه من الملك ما أراد لأنه سيظل ملتفتا الى مملكة الدنيا .

كما أن هذا الكلام ينقصه الدقه حيث أن الملك الذى طلبه سليمان عليه السلام — لم يكن ملكا فى الغنى المادى أو متع الحياة الأخرى التى قد تتوفر لدى غيره من الناس . لكن ملكه الذى طلبه كان يتمثل فى السلطه على الجن والشياطين والرياح .

ويدل على ذلك حديث الرسول الكريم الذى أخبر فيه بأن الشيطان قد عرض له فى الصلاة وربطه فى المسجد ثم أطلقه احتراما لرغبه سليمان — عليه السلام

ما جاء فى حق يوسف :-

أورد الباحثون فى حق يوسف عليه السلام شبهًا عدة نوجز بعضها مع بيان موقف القاضى منها .

---

(١) انظر عصمة الأنبياء للفخر الرازى . ص ٩٢

ـ تمسك المنكرون بقوله تعالى ، حاكيا عنه ، وعن امرأه العزيز :

(ولقد همت به وهم بها) (١)

على أن ذلك يدل على العزم على الزنا من الأنبياء وهذا ما يتنافى مع العصمه .

موقف القاضي :ـ

يذهب القاضي الى ان الهم لا يكون على حقيقته لأنه ليس فى ظاهر الآيـه اضافه الهم اليهما مطلقا لقوله تعالى :

(لولا أن رأى برهان ربه)

فيكون حقيقه ذلك أنه لولا رؤيته البرهان لقد همت به وهم بها ، كما يقول القائل: فلان ضرب غلامه ضربا لولا انى استنقذته من يده .

وعلى ذلك ينكر القاضي وقوع الهم من يوسف ـ عليه السلام ـ على الحقيقة ويستدل القاضي ـ رحمه الله ـ بأنه تعالى وصفه بأن صرف عنه السوء والفحشاء ولو كان هم فى الحقيقة كما يقول القاضي بأنه عزم على مواقعتهما وأظهر ذلك لكان ذلك من الفحش العظيم فكان لا يصح وصفه بأنه قد صرف عن الفحشاء .

وقال رحمه الله أن سائر ما ذكره تعالى فى تنزيه يوسف ـ عليه السلام ـ فى السورة يدل على ذلك لأنه تعالى وصفه بأنه يجتبيه بقوله تعالى :

(وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) (٢)

---

(١) سورة يوسف . آيه : ٢٤
(٢) سورة يوسف . آيه : ٦

وهذه صفه من لا يعزم على الفواحش •
ووصفه انه من عبادة المخلصين وذلك فى قوله تعالى :

(كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) (١)

وذلك ايضاً لا يليق به الاقدام على العزم على الزنا •

كما أنه أخبر تعالى عن النسوة أنهن قلن :

(حاش لله ما علمنا عليه من سوء) (٢)

ولو كان قد عزم ، وقعد مقعد الزنا لم يصح ذلك •
كما أنه تعالى حكى عن امرأة العزيز أنها برأت يوسف بقولها :

(أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) (٣)

وكل ذلك يدل على أن الهم ليس على الحقيقة عند القاضى •

الا أننى لى وقفه هنا وهى أن الله تعالى اكد الخبر عن الهم باللام وقد فى قوله تعالى : (لقد) ولذلك وجب حمل الهم هنا على الحقيقة وليس على سبيل المجاز كما أن المثال الذى أورده القاضى لا يخدمه لانه يفيد وقوع الضرب فعلا ، وعلى ذلك تقيس عليه وقوع الهم فعلا من يوسف ، الا أننى يمكن أن أقول ان هذا لا يقدح فى نزاهته لانه لا يرقى الى حد الزنى كما ادعى المنكرون •

---

(١) سورة يوسف • آيه : ٢٤
(٢) سورة يوسف • آيه : ٥١
(٣) سورة يوسف • آيه : ٥١

وقد ذكر الرازى الوجوه التى ذكرها الباحثون فى البرهان الذى رآه يوسف عليه السلام - فقد ذكروا فى ذلك وجوها ثمانيه :-

١) انها العصمة التى عصم الله بها أنبيائه فهى الآداب التى أدب الله تعالى - بها أنبياءه فصانت نفوسهم من الأرجاس .

٢) أنه حجه الله فى تحريم الزنا وما يكون من عقاب الزانى .

٣) أنه رأى فى سقف البيت مكتوبا (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشه وساء سبيلا)

٤) ان مقتضى النبوه المنع من ارتكاب المعاصى .

٥) عن زين العابدين كان فى البيت صنم فألقت عليه ثوبا وقالت استحى منه فقال يوسف - عليه السلام - (تستحى من الصنم فأنا أحق أن استحى من الواحد القهار)

٦) انه سمع قائلا يقول (أنت مكتوب من الأنبياء وتعمل عمل السفهاء) .

٧) انه سمع قائلا يقول (يا ابن يعقوب لا تكن كالطير فاذا زنا ذهب عنه ريشه)

٨) عن ابن عباس أنه رأى صورة الملك وقيل صورة يعقوب عاضا على أنامله .(١)

على أنى أرى أن الوجوه الثلاثه المتقدمه الأول والثانى والرابع هم الأقرب الى القول بعصمه الأنبياء لأنه بمقتضاها يكون الهم ليس على الحقيقة التى ترقى الى الزنى لأنه لو كان كذلك ثم بعد عزمه على وقوعه عصمه الله منه لما كان فى ذلك اقناعا فى رد الشبهة .

الشبهه الثانيـــه :-

تمسك المنكرون بقوله تعالى حكاية عن يوسف :

(اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم) (٢)

---

(١) انظر عصمه الأنبياء للامام فخر الدين الرازى . ص ٦٠

(٢) سورة يوسف . آيه : ٥٥

على ان يوسف ــ ص ــ مدح نفسه بذلك ، ومدح النفس مكروه ومنهى عنه بقوله تعالى :

(فلا تزكوا أنفسكم) (١)

وكذلك قالوا كيف يجوز للنبى أن يتولى من قبل الكفار .

موقف القاضى :

يذهب القاضى فى رد هذه الشبهه الى أن مدح النفس يحسن اذا كانت الحاجه اليه ماسه ، وعلى ذلك يكون المراد بالمدح هنا الوجه الذى يقع به المنفعه والمصلحه ، وعلى هذا قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) . فنبه بقوله ولا فخر على أن مراده ليس مدح النفس ، ولذلك ذهب القاضى الى أن يوسف أظهر ذلك لما كان فى توليه أمر الخزائن من الصلحه خصوصا فى تلك السنين الشديدة .

وأما ما قالوه من تولى ذلك من قبل الكفار فذهب القاضى الى أن ذلك جائز بل مطلوب لما فيه من المصلحه للعباد المؤمنين ، فأن قيام يوسف (عليه السلام) ــ على شأن الخزائن فيه نفع لعباد الله من قومه وغيرهم ممن يردون على مصر طلبا للمؤنه . (٢)

وهذا ينطبق تماما مع المذهب المعتزلى من كون البعثه من أجل مصالح العباد .

---

(١) سورة النجم . آيه : ٣٢

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ص١٩٣ فى تفسير سورة يوسف .

الشبه الثالثـــه :ـ

قال المنكرون أن ما حكاه سبحانه وتعالى ـ من قول يوسف :

(انكم لسارقـــون) (١)

على أخوته يدل على وقوع الكذب من الأنبياء لأنهم غير سارقين فى الحقيقـــة وهذا يقدح فى العصمة .

موقف القاضى :ـ

قال القاضى ـ رحمه الله ـ ان يوسف جعل الساقيه فى رحل أخيـــه فكان ذلك من قبله كما أخبر بذلك القرآن الكريم ، فأما القول انهـــم سارقون يجوز أن يكون من قبل المؤذن لا من قبل يوسف وعلى ذلك نفى القاضى صدور الكذب من يوسف ـ عليه السلام ـ على الحقيقـــة .(٢)

الا أننى أرى أنه فى صدور الكذب ، وكونه قادحا فى عصمة الأنبياء بحث : فقد ثبت فى الحديث الصحيح ان رسول الله ـ ص ـ قد أسند الكـــذب الى خليل الله ابراهيم ابى الأنبياء عليه السلام ـ واذا كان الكذب ثابتـــا وقوعه من بعض الأنبياء فان قدحه فى العصمه لا يكون على اطلاقه ، بل يؤخذ فيه اعتبار المصلحه ، وهى القاعده المعتبره عند طائفه الاعتزال .

وقد جاء فى الحديث الصحيح المتفق عليه :

(عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لم يكذب ابراهيم النبى ـ عليه السلام ـ قط الا ثلاث كذبات اثنتـــين

---

(١) سورة . يوسف . آيه : ٧٠
(٢) المرجع السابق . ص ١٩٤

فى ذات الله : قوله : (انى سقيم) وقوله : (بل فعلهم كبيرهم هذا) وواحدة فى شأن سارة ... الحديث) متفق عليه .(١)

ما جاء فى حق يعقوب عليه السلام :ـ

١) قال المنكرون كيف يجوز من يعقوب ان يحزن كل هذا الحزن على يوسف وهو نبى وذلك يصرفه عن أمور الآخرة .

موقف القاضى :ـ

يذهب القاضى الى أن للوالد محبه ولده والسرور بأحواله وخاصه لو كان على صفات يوسف أو ما يقاربها ، وقال ايضا أنه يحتمل أن يكون يعقوب ـ عليه السلام ـ قد ظن أنه قصر فى حمايه يوسف ـ عليه السلام ـ وفرط فى تسليمه الى اخوته فتضاعف حزنه لذلك ايضا .
وانى من جانبى أرى أنه لا يجوز أن يصدر من يعقوب عليه السلام ـ ان يتهم نفسه بالتقصير ، وأن ما حدث ليوسف ـ عليه السلام ـ كان بسبب تقصيره ويعقوب ص ـ نبى يعرف أن كل شئ واقع على مقتضى قدر الله ـ تعالى ـ ولكن الرد الصائب فى هذا أن حزن يعقوب ـ عليه السلام ـ كان لعوامل عده أهمها :

---

(١) كتاب ذكر الأنبياء وفضلهم ـ صحيح مسلم .

١ـ انه والد وكل والد يحزن على فقد أبنه ، ولا حرج عليه فى ذلك أن يكون نبيا ، فالنبى بشر ، ولقد ثبت حزن خاتم النبيين محمد ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ على أبنه ابراهيم ـ عليه السلام .

٢ـ قد يكون الاعتراض ليس على حزنه ، بل على شدة حزنه ، وذلك يجاب عنه بأن الحزن ، انما يكون على قدر المفقود الضائع ، ويعقوب عليه السلام ـ كان قد عرف أن أبنه هذا سيكون نبيا ـ بمشيئة الله تعالى ـ لذا كان حزنه عظيما حيث كان المفقود عظيما .

٣ـ ومما يسوغ شدة حزنه ـ عليه السلام ـ على فقد ابنه ـ عليه السلام أن الأب ـ عليه السلام ـ كان موقنا أن أبنه حى لم يمت ، لذلك علق قلبه به ، وعاش على أمل أن يراه ، لذلك كان حزنه عظيما حيث لم ينته الأمل فى أن يرده الله عليه .

٤ـ بذلك يكون حزن يعقوب على أبنه ـ عليهما السلام ـ حزن محمود ، لأنه ليس حزنا على دنيا أو شئ من متاعها ، بل هو حزن يتصل بمصالح الناس ، فقد كان حزنا على نبى من أنبياء الله ـ تعالى ـ يرجو يعقوب ـ ص ـ على يديه الخير والصلاح للناس .

٢) قال المنكرون أن فى قوله تعالى على لسان أخوه يوسف ليعقوب :

(انك لفى ضلالك القديم) (١)

فقد نسبوه الى الضلال ، قبلا وبعد ذلك وهذا يقدح فى عصمته كنبى .

---

(١) سورة يوسف ، آيه : ٩٥

قال القاضى فى ذلك :ـ

ان الضلال فى اللغه هو " الذهاب عن الشئ الذى فيه نفع " فأرادوا بقولهم :

(انك لفى ضلالك القديم)

اى انك تجرى على عادتك فى العدول عما ينفعك ، ومثل ذلك مما يجوزه القاضى فى حق الانبياء فى أمور الدنيا .

(٣) قال المنكرون ان فى قوله تعالى :

(ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا)(١)

ما يدل على سجود الانبياء لغير الله مما يفضى الى الشرك بالله والكفر ، وهذا يقدح فى عصمه الأنبياء .

موقف القاضى :ـ

قال القاضى ان سجودهم ليوسف ـ عليه السلام ـ يكون لما وصل اليه من النعم العظيمه التى انعم الله بها عليه فيكون السجود فى الحقيقة لشكر الله وأما أضافته السجود اليه لما أن يوسف هو سبب تلك النعم كما يضاف السجود الى القبله .

ويرى القاضى ايضا أن السجود وقع منهم على وجه التعظيم له فان ذلك يحسن على بعض الوجوه .

---

(١) سورة . يوسف . آيه : ١٠٠

ويذكر القاضى انه قيل ان الله تعالى ذكر السجود وأراد الخضوع .
الا أننى أرى هنا أن كل هذه الردود التى قال بها القاضى غير مستساغه .
والجواب الصحيح فيما رأى :-
أن السجود كان بأمر من الله تعالى - ، وحين يكون السجود لغير الله - تعالى - بأمر منه - سبحانه - فانه يشتمل على أمرين :

الأول : انه سجود تعظيم واكبار وليس سجود عباده للمسجود له .
الثانى : ان هذا السجود يحتوى على عباده لله تتمثل فى طاعته وتنفيذ أمره - سبحانه . فهو اذن يحتوى على تعظيم وعباده . التعظيم لمن وقع السجود له ، والعبادة لله سبحانه .

والمرجع فى كلا الأمرين هو الى طاعه الله - تعالى - ، وقد وقع مثل ذلك لادم - عليه السلام - من الملائكه ، حيث عظم الملائكه آدم - عليه السلام وأطاعوا الله عز وجل - ومثل ذلك يقع فى تعظيم الكعبه ، والحجر الأسود ، وانما هذه وذلك حجارة لا تضر ولا تنفع ، ومع ذلك فتعظيمها واجب . على الصورة التى أراد الله - سبحانه - لأن المقصود الأصلى من وراء ذلك انما هو عبادة الله وحدة . وذلك بالطاعه والانقياد له وتنفيذ أوامره - تبارك وتعالى - . وبعد فقد ذكر قاضى القضاه أن سورة يوسف عموما مشتمله على كثير من آداب الانبياء من مثل :

١- الصبر على كتمان رؤيا يوسف - ص - عن ذكرها لأخوته والكتمان على ذلك صعب لكنه احتمله تحرزا من حسدهم .

٢- أن يعقوب جاء بيوسف - عليهما السلام - على اخوته لئلا يستوحشوا مع خوفه منهم .

٣ـ انها تبين كيف أن يعقوب ـ ص ـ احتمل اخوه يوسف بعد فعلتهم ولم يجازهم على ما فعلوا ٠

٤ـ كيف تشدد يوسف ـ ص ـ فى الاحتراز عن امرأه العزيز واحتمل لذلك الحبس الطويل حتى ظهرت براءته وعرف الكل عفته ٠

٥ـ كيف أن يوسف ـ ص ـ تمهل فى تخليص أخيه منهم وصبر عليهم ٠

٦ـ كيف كانت معاملته حسنه لاخوته حين ظفر بهم ٠

٧ـ كيف توصلوا الى ازاله الغمة عن قلب ابيه وصبر الى أن ظفر بالوقت الذى أمكنه فيه احضاره عنده على أحسن الوجوه ٠

٨ـ كيف كان صبر يعقوب ـ ص ـ فى غيبه يوسف ـ ص ـ وكذا أخيه وهو كالراجى لعودتهما والاجتماع معهما ٠

٩ـ كيف كان من يوسف ـ ص ـ العفو وقبول العذر عند المقدرة من اخوته وقد فعلوا فيه ما فعلوا ٠

١٠ـ وكيف أن يعقوب ـ ص ـ قبل عذرهم وزاد على ذلك أن دعى ربه ان يغفر له :

(قال سوف أستغفر لكم ربى ٠ انه هو الغفور الرحيم) (١) ـ

---

(١) سورة يوسف ٠ آيه : ٩٨

ولكنى أرى انه كان الأولى من ذلك أن يذكر القاضى استغفار يوسف عليه السلام لأخوته فان عفو يعقوب قد يكون للجبله دخل فيه ، حيث هم أبناؤه وهو أبوهم ، وطبيعة الأبوة تقتضى التحمل من الأبناء .

أما يوسف عليه السلام — بعد ان وقع عليه من الآلام ورأى منهم القسوة الشديدة التى وصلت الى حد ارادة قتله ، ثم بعد ذلك يعفو عنهم ويستغفر الله لهم كما جاء عنه فى قوله تعالى :—

(قال لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين) (١)

ما جاء فى حق نبينا صلوات الله وسلامه عليه :—

أشرنا فيما مضى من سطور اهم الشبه التى أوردها المنكرون للنبوه أو الطاعنون فى عصمة الأنبياء وقد رأينا مدى التوفيق الذى حققه القاضى — رحمه الله — فى هذه الردود ، فقد وفق توفيقا بعيد المدى فى هذه الردود ، ولا ينقص من هذا التوفيق الملاحظات التى أوردناها على ردوده تلك .

ثم بعد ذلك ننتقل الى الحديث عن أهم الشبه التى أوردها المنكرون ضد عصمه سيدنا رسول الله خاتم الأنبياء — محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان حريا بنا أن نبدأ به — صلى الله عليه وسلم — فهو المثل الأعلى التى أجتمعت فيه كل خواص اخواته — ص — أو أن نطرق الكلام عن الشبه

(١) سورة يوسف . آيه : ٩٢

المتعلقة به — ص — فهو — ص — أ.ص وأجل من أن يثار حوله هـذه الشبه وان اثيرت فانها جديرة بالترك ولكنه استكمالا للموضوع أرى أنه مـن الواجب ان اتعرض لبعض ما قيل عنه صلوات الله وسلامه عليه وخاصة أن فـي بعض آيات القرآن الكريم ما يوهم ذلك لمن لم يفهمه الفهم الصحيح .

أولا : لقد تمسك المنكرون بما فى قوله تعالى :ـ

(ووجدك ضالا فهدى)

على انه يدل على جواز الضلال على نبينا وكذا فى حق سائر الأنبياء .

موقف القاضى :ـ

يذهب قاضى القضاء الى أن المراد بالضلال هنا هو الضلال عن النبـوة والرسالة وسائر ما خصه به تعالى من التعظيم وغيره ولذا هداه الله اليهما . وقد استخدم القاضى التعريف اللغوى فى تبرير ذلك فقال :ـ

(انه فى اللغة قد يقال ضل عن كيت وكيت اذا كان ذلك طريق منافعه) ولذلك يحمل الضلال هنا على المنفعة لأن الله ـ تعالى ـ لم يقل ووجدك ضالا عن الديـن . (١)

وعلى ذلك فالمراد بهذه الآية عند القاضى الذهاب عن الطريق الذى فيـه النفع لأن النبى كان ذاهبا عن طريق النبوة فهداه الله تعالى اليه .

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٤٦٧

وهذا كما أراه أقرب مما ذكره صاحب المواقف من أنه كان قبل النبوة[1] لأنه يؤدى الى صدور المعاصي عن الأنبياء قبل البعثة وقد نفى اللــه سبحانه وتعالى ـ ذلك عن النبى حيث قال :ـ

(ما ضل صاحبكم وما غوى) .[2]

ولم يفهم من ذلك أن عدم الضلال لم يكن الا بعد النبوة .

ثانيا :ـ تمسك المنكرون بظاهر قوله تعالى :ـ

(ما كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا)[3]

على انه يدل على القدح فى نزاهة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)

موقف القاضى :ـ

ذهب قاضى القضاة الى أنه لم يضف ذلك الى الرسول على الحقيقة حتى يلزمه ذلك وانما نسبه الى غير ساكان يبغيته الغنائم ، ويذهب القاضى كذلك انه يجوز فى حق الأنبياء ارادة عرض الدنيا من المباحات ، كما أن القاضى يرجع ذلك ـ اذا صح القول بوقوعه ـ الى أنه من الصغائر المغفورة لقوله تعالى :

---

(١) المواقف ، للايجى : ص ٢٧٦
(٢) سورة النجم ، آيه : ٢
(٣) سورة الانفال ، آيه : ٦٧

(لولا كتاب من الله لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (١)

وهذا قريب مما ذكره صاحب المواقف (من أنه عتاب على ترك الأولى وعلى ذلك فلا يرقى الى حد المعاصي) (٢)

الا انني لي وقفه هنا مع القاضي فانه اما ان يكون طلب عرض الدنيا جائزا في حق الانبياء . أولا :ـ

فان كان فلا معنى لنفي القاضي اراده النبي ـ ص ـ بما ورد في الايه وصرفه الى غيره ، وان لم يكن صرفه الى غيره مقبول ، لكن لا معنى لتعقيبه بعد ذلك بأن ذلك جائز في حق الانبياء . على أن رأى القاضي بشقيه مرفوض وذلك بالرجوع الى المناسبة التي نزلت فيها الاية .

والأحاديث الصحيحة التي جاءت في كتب الصحاح من البخاري ومسلم والكتب الأخرى . فقد ورد أن الرسول ـ ص ـ جلس يبكي ـ عندما نزلت هذه الايه ـ هو وأبو بكر ـ رضى الله عنه ـ وجاء عمر ـ رضى الله عنه ـ فوجدهما يبكيان فقال : ماذا يبكيكما . أخبراني فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم أجد تباكيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد عرض على العذاب أدنى من هذه الشجرة . ولو نجا أحد لكنت أنت يا ابن الخطاب ـ أو كما قال ـ

ثانيا :

تمسك المنكرون بما روى من أن الرسول لما قرأ أوائل سورة النجم حتى وصل الى قوله ـ تعالى :

---

(١) سورة الأنفال . آيه : ٦٨
(٢) المواقف ص ٢٧٧

(أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) (١)

قرأ بعدها (تلك الغرانيق منها الشفاعة ترتجى) فأتاه جبريل بعدما انتهى وقال تلوت على الناس ما لم أتله عليك ، فحزن النبى حزنا شديدا وخاف الله خوفا عظيما فنزل قوله - تخفيفا عنه :

(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنه للذين فى قلوبهم مرض والقاسيه قلوبهم) (٢)

فقالوا ان الآيه تدل على أنه لا رسول الا والشيطان يتسلط عليه ، وأن الرسول الكريم عظم آلهه المشركين وان المشركين لما سمعوا ذلك سجدوا شكرا وفرحا لذلك .

موقف القاضى :-

يذهب القاضى فى تفسير هذه الآية الى أن ظاهرها لا يقتضى الا أن الشيطان يلقى أمرا وأن ذلك الامر يزال ويرفع ولا يدل على أن مايفعله الشيطان يؤثر فى الرسول .

ويستدل القاضى على ذلك بما جاء فى القرآن الكريم من أنه لا سلطان للشيطان على المؤمنين .

(قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) (٣) .

فيكون الأنبياء أولى بذلك من المؤمنين ، وعلى ذلك فانهم اذا لم يقبلوا وعدلوا عن ذلك زال سلطانه وان كان يلقى اليهم فما ذكره تعالى من نسخه .

---

(١) سورة النجم الآيتان ١٩ ، ٢٠

(٢) سورة الحج ، آيه : ٥٢ ، ٥٣

(٣) سورة الحجر ، الآيتان : ٣٩ - ٤٠

الا أننى أرى أن الاقوى فى الاستشهاد قول الله ـ تعالى ـ مخاطبا الشيطان :
(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) (١)

والمراد بالآية عند أبى على الجبائى على ما ذكره القاضى فى كتابه المتشابه أنه ما من رسول الا اذا قرأ كتاب الله وتحيه وسوس له الشيطان بما يشغلـه عن الاستمرار فى القراءة فمن الجائز لذلك أن يسهو فى القراءة أو يغلط فيه فينسخ الله ذلك حتى لا يلتبس بالقرآن ، ولذلك حمل التمنى هنا على القراءة

وأما ما قالوا من أنه ـ ص ـ ذكر آلهتهم بالتعظيم فمما ينكره القاضـى ولا يجوز ووقوعه من الأنبياء سواء على سبيل الغلط أو على سبيل السهـو لأن ذلك كفر لا يليق بهم ، كما أن الرسول ـ ص ـ كان يستتر بالصلاة خوفا ، فكيف اتفق ذلك منه فى ملأ منهم ، وقال القاضى أنه (قد صح أن المشركين كانوا موقنين بقصده فـى الدعاء الى عبادة الله والاستخفـاف بآلهتهم ، فكيف ظنوا هذا الغلط الواقع حتى سجدوا شكرا ، وكيف زالـت عن قلوبهم العداوة الشديدة لهذا الأمر اليسير حتى أقدموا على هذا الصنع ، وهذا مما يدل على ان هذه القصة مختلقة . (٢)

وقد ذهب الى ذلك ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى تفسير قوله تعالى :
(فاسجدوا لله واعبدوا) (٣)

قال (سجد النبى ـ ص ـ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجـن والانس) وليس فى هذه الرواية ذكر لمسألة الغرانيق وأن النبى قد جرى على لسانه ذكر الهتهم بخير . (٤)

---

(١) سورة الحجر ، آيه : ٤٢
(٢) متشابه القرآن .
(٤) سورة النجم ، آيه : ٦٢
(٣) أخرجه البخارى
(٥) فى هامش متشابه القرآن ص ٥١٢

رابعا :ـ قال المنكرون ان فى قوله تعالى :

(فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) (١)

يدل على وقوع الشك فيما جاء من عند الله ، وهذا لا يجوز من الأنبياء مما يدحض فى نزاهه الرسل •

موقف القاضى من هذه الشبهة :ـ

ذكر القاضى ان الشك هنا ليس مقصودا به الرسول ـ ص ـ ، وانما المراد أى فرد شك فى ذلك على سبيل الزجر لهم بعدما تبين لهم بالصدق من الرسول ـ ص ـ بالمعجزات الخارقة للعاده •

وقال القاضى انه يجوز كذلك ان يكون محمولا لأهل الكتاب السابقين على الرسول ـ ص ـ ويجوز أن يسألهم المنكرون عما فى كتبهم عن تصديق ـ الرسول ـ ص ـ • (٢)

وقد ذكر صاحب المواقف : بأن الله فرض شك الرسول كما يفرض المحاله وأما الرجوع الى أهل الكتاب جائز لزيادة قوته وطمأنينته أو لمعرفة كيفيه نبوة سائر الانبياء • (٣)

وانى أرى أن ما ذهب اليه القاضى من اسناد الخطاب الى غير الرسول الكريم ـ ص ـ بعيدا عن الصحة فالمخاطب هو الرسول فعلا

---

(١) سورة يونس (عليه السلام) آيه : ٩٤
(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن • ص ١٨٨
(٣) المواقف • ص ٢٨٠

والشك هنا ربما كان فى القصص للأنبياء السابقين الذين ذكروا فى التوراه من قبل ، وليس معنى ذلك وقوع الشك من الرسول فعلا ولكنه يحمل على فرض وقوع الشك منه بدليل قوله تعالى :ـ

(لقد جاءك الحق من ربك)

ولو ثبت ان الرسول ـ ص ـ قد احتكم معهم إلى كتبهم بالفعل فلايرقى ذلك الى حد الشك فى العقيدة الاسلامية أو فى بعض أحكامها أو فيما أنزل الله عليه، لأن أهل الكتاب ينكرون نبوته حينئذ ، فمن الجائز اذا استعان بهم ان يدلوه خطأ ليبينوا عدم صحه ما جاء فى القرآن الكريم لأنهم كانوا يظنون ان النبى المنتظر يكون منهم ، وكما أن كتبهم كانت مشكوكا فى صحتها بدليل ما جاء فى القرآن الكريم فكيف بعد أن بين الله سبحانه لنبيه ذلك يطلب منه الاستعانه بكتبهم لصحه ما أتاه الله .

كما أن ذلك يقود الى أن تكون التوراه أو الانجيل حجة للرسول بما ليس فى القرآن كيف وقد نسخ الله كلاهما بما أورده فى كتابه العزيز .

وبعد فان ما بقى من الشبه من مثل ما سبق لتهوى أمام الدليل العقلى والنقلى فيستهان بها ولا نعطها أهتماما لضعفها وسهولة تأويلها .

حكم ارسال الرسل

• اختلف المفكرون حول حكم ارسال الرسل
هل هو ممتنع ؟
هل هو واقع ؟
واذا كان واقعا فعلى اى جهة كان وقوعه ؟ هل وقوعه على وجه الوجوب ؟
هل وقوعه على وجه الممكن ؟

لكل من هذه الآراء قال فريق او اكثر .

وفى السطور التاليه سوف اتناول رأى كل فريق ـ بمشيئة الله تعالى :
ذهب البعض الى القول بأن الرساله جائزه الوقوع عقلا ، وقد وقعت بالفعل من الله تعالى ، ووقوعها تفضل من الله تعالى لما فيها من المصالح والحكم المترتبه عليها . وهى ممكنه من الله تعالى لأن الله لا يجب عليه شئ . فهو حر مختار يتصرف فى ملكه كيفما يشاء(١)

وذهب البعض الاخر الى ان النبوه والرساله واجبه على الله تعالى(٢) ووجوب النبوة عند هؤلاء لمعرفة التكاليف الشرعيه ، لان التكاليف الشرعيه تفضل من الله تعالى لما يترتب عليها من المصلحه للعبد والثواب ، ولا طريق الى معرفة هذه التكاليف الا الرسل صلوات الله عليهم(٣) ، لان العقل

(١) هذا راى الاشاعره انظر الملل والنحل ج ١ صـ١٠٢ ونهايه الاقدام صـ٤١٥ هدايه المريد لعقيدة اهل التوحيد صـ١٧٠ المواقف للايجى صـ٢٣٠
(٢) شرح الأصول الخمسة (٣) المغنى التكاليف القاضى عبد الجبار

وحده لا يستقل بمعرفة التكاليف الشرعية ، فما يعرفه العقل _ فى رأى هـؤلاء عن طريق العقل اجمالا لا تتم الفائده فيه الا بالتفصيل من جهة السمع عـن طريق الرسل (١)

مذاهب البراهمة فى حكم الرسالة

فى مقابل المذاهب المتقدمه القائله باما امكان النبوات واما وجوبها اى القائله بوجود النبوات نرى مذهبا مخالفا تماما لذلك وهو قول البراهمه .

وان كان راى البراهمه هذا لا يهمنا فى قليل أو كثير حيث ان النبوات أمر واقع بالفعل وليس هناك سبيل لانكاره ، إلا اننى اذكر فى السطـور التاليه بعض شبه البراهمه التى استندوا عليها فى القول بانكار النبـوه وذلك اتماما للفائده .

ذهب البراهمه الى انكار النبوات والقول باستحالتها بالرغم من انهـم يثبتون الصانع بتوحيده وعدله (٢).

وقد افترق البراهمه على قولين :

١_ فمنهم من جحد الرسل وزعم انه لا يجوز فى حكمه الله وصفاته ان يبعث رسولا الى خلقه ، وانه لا وجه من ناحية الرسول يصح تلقى الرساله عـن الخالق .

---

(٢) هم جماعه من الهند نسبوا الى رجل منهم يقال له ابراهيم ،(المواقف ص ٣٤٤

(١) وهذا رأى المعتزلة

٢ـ ومنهم من قال ان الله تعالى ما أرسل رسولا سوى آدم عليه السلام وكذبوا كل مدع للنبوه سواه (١) .

وهذه شبه البراهمه فى انكار النبوات او ردها مع رد المتكلمين عنها حتى نكتسب من رد المتكلمين كيف ندافع عن ديننا الحنيف ضد الحاقدين والمنكرين .

الشبهه الأولى :

ذهب البراهمه الى ان البعثه مخالفه للعقول ويتمثل ذلك عندهم فى

١ـ مخالفه التكاليف الشرعيه للعقل
٢ـ مخالفه البعثه للعقل

اولا : مخالفه التكاليف الشرعيه للعقل

يعتمد البراهمه فى انكارهم للبعثه والنبوه على القول بعدم عقليه الشرائع فيقولون ان الرسل قد أتت بما حكم العقل بقبحه كالحج وما يستلزم من زيارة بعض المواضع والوقوف ببعض والسعى ببعض والطواف ببعض مع مشابهتها لبعض والتشبه بالمجانين والصبيان فى التعرى للرأس ورمى الحجارة الى غير مرمى وتقبل حجر لا ميزه له على سائر الاحجار ، وزبح الحيوان وايلامه بلا ذنب له .

وكذلك افعال الصلاه من القيام والقعود والانحناء فى الركوع والانكباب على الوجه فى السجود .

---

(١) التمهيد للقاضى الباقلانى

كذلك ما فى الصوم من الحرمان من الأكل والشرب والملاذ وتحمل الجوع مع ما فيه من اهلاك للبدن على ان هذا الحرمان ليس فيه مصلحة لله تعالى وفيه ضرر للعبد .

ويستند البراهمه فى ذلك على الحكم العقلى ،فيقول البراهمه ان كل عاقل يحكم بقبح هذه الافعال التى هى اساس الشرائع التى اتت بها البعثه فيجب ردها وعدم قبولها وفى ردها رد البعثه .

رد هذه الشبهة

قيل فى رد هذه الشبهة ان الشرائع لا يمكن للعقل ان يحكم عليها بالحسن والقبح لان الحكم فيها ليس ذاتيا ولكن لما يترتب عليه من المصلحه بعكس الصدق والكذب مثلا فالحكم فيهما ذاتيا ولذلك فالعقل يمكنه الحكم على الصدق والكذب بان يقول ان الصدق حسن فى حد ذاته والكذب قبيح فى حد ذاته ،وليس كذلك الشرائع .

ويرى من رد هذه الشبهه بهذا المنطق ان الشرائع لها ما يماثلها فى افعال الدنيا ولا تقبح لذاتها وانما تقبح لوجه وتحسن لوجه فمثلها افعال الشرائع . وذلك مثل الجلوس فى احوال الدنيا لا يحكم عليه بالقبح والحسن لذاته ،لانه انما يحسن لو كان فيه غرض ومصلحه كالجلوس للأكل والحديث وانتظار الرفيق وما شابه ذلك ،ويقبح لو تعرى عن اى غرض ومصلحه او منفعه كالجلوس عند هجوم العدو او لقاء سبع . "

كذلك الفعل الشرعى يحسن لما فيه من المصلحه والمنفعه المترتبه عليه فى الآخرة التى اخبرنا بها الرسول المؤيد بالمعجز • فوجب لذلك التسليم عقلا بحسن الجلوس فى الصلاة لوجه المنفعة •

ويمكن حمل كافه الحركات الشرعية على ذلك فمثلا الركوع والسجود والانحناء يحسن من اجل الشرب ويقبح عند عدم الحاجه اليه • وكذلك اعمال الحج فإن الجرى والعدو يحسن هربا وخوفا من الاسد مثلا لدفع المضره حتى انه يقبح منه عدم الجرى ،لأن فيه هلاك للنفس حتى لو فعل ذلك وهو عارى من ثوبه لم يكن ذلك قبيحا •

كذلك يحسن الطواف من صاحب الدار بداره لينظر اذا كان فيه كسر ،حتى لو عاد الطواف مرات ومرات ويكون ذلك حسنا لغرض المصلحة ، كذلك يحسن رمى الحجار الى الفاكهه فى الشجره اذا كانت الحاجة اليها ماسة ولا طريق غير ذلك للحصول عليها •

كذلك يحسن التعرى عند الحاجة فى امور الدنيا ويقبح عند عدم الحاجة •

ونحن نحكم بحسن هذه الافعال وقبحها فى امور الدنيا عن طريق العقل اذا تعلق بها ادنى عرض او تعرت عن الغرض ،فلو عرفنا ان هذه الافعال يترتب عليها مصالح فى امور الدين من جهه الحكيم وجب الحكم بحسن هذه الافعال عقلا وكان التعبد بها حسنا ،فما الذى يمنع من ذلك لرفع المضار الباقية ، واجتلاب المنفعة الدائمة ،وخاصة بعد العلم بأن حسن مثل هذه الافعال وقبحها يتوقف على حصول غرض فى الفعل ومصلحة ،فكيف تكون قبيحة(١)

(١) انظر شرح الأصول الخمسه ص٥٦٦ وهذا رأى القاضى عبد الجبار

واما فى ذبح الحيوان فى الحج فقد قيل فى ذلك ان الله مالك لكل شئ فى الدنيا بما فيها الحيوان فتكون الاباحه بأمر المالك فلا تقبح لانه لا اعتراض لمخلوق على حكمه (١)

ثانيا : مخالفة البعثه للعقول

قال البراهمة ان البعثه تفصل بين ما لا يمكن الفصل بينهما عقلا كايجاب القبح وحظر المباح فلا تُقبل البعثة لذلك .
وبيان ذلك :

١- ان العقل لا يفرق بين الكعبه وغيرها فيما يؤديان اليه والسمع "اى الرسل" تفرق بينهما من حيث الطواف بالكعبه واجبا وغيرها محظور . كذلك الوقوف بعرفه كالوقوف بغيره فى حكم العقل لان الله هو المقصود بالعباده بهذه وعلى ذلك فلا يكون هناك فرق بينهما فيكون صحيحا ومصلحه فى كل والشرع يخالف ذلك حيث حصر العبادة فى عرفه .

٢- كذلك فى احوال الأوقات فالعقل لا يفرق بين وقت ووقت ، وليس كذلك السمع لانه يجعل الصوم فى رمضان أولى من غيره .

٣- وفى الزكاة لا تحق الا فى الزائد من المال فقط فالسمع فرق بين المال الزائد وغيره والعقل لا يفرق بين المال زاد او نقص .

٤- كذلك فى شروط العبادات فالعقل لا يميز بين الطهارة وعدمها والسمع يفرق فى ذلك فالصلاة بالطهاره واجبة ، ومع عدم الطهارة قبيحة ، فكل ذلك يناقض العقل فيحكم بقبحه ، وايجاب القبيح باطل فما أدى اليه باطل

(١) وهو رأى الأشاعرة التمهيد للقاضى الباقلانى

فتبطل البعثه وتكون مستحيلة •

هـ لو كانت الصلاه والصوم واجبه فى وقت دون غيره لكانت قبيحه فى غير اوقاتها والسمع لا يقر ذلك من حيث كان التنفل بهما حسنا وكذا فى الصوم، وعلى ذلك يكون باطلا ان يخصص وقتا دون غيره تكون فيه الصلاه والصوم واجبه فتكون واجبه على الدوام ولكن ذلك باطل من جهة الشرع حيث انهما شرعا واجبه فى وقت دون غيره •ولو كانت واجبه على الدوام كذلك لا يكون هناك فرق بين الواجب والنفل •

الرد على هذه النقطه من الشبهه

قيل ردا على ذلك ان الواجبات العقليه لا تكون واجبه ومصلحة فى كل وقت وليس معنى ذلك انها تخالف العقل وتكون مناقضه له • وذلك لاختلاف المصالح لاختلاف الأوقات • ونحن نشعر بذلك فى نفوسنا •فإن الرفق لو كان نافعا للطفل الا انه لا يكون كذلك فى كل وقت فقد يكون ضارا فى بعض الأوقات(١)

وهذا ظاهر ويحسن عقلا ولا يكون فى ذلك مخالفة العقل لنفسه •ونقيس على ذلك الواجبات الدينيه فلا يمتنع فيها ان تتوقف على شرط يحصل من عند الله كما لا يمتنع كذلك ان يكون الشرط من عند العبد فى الفعل العقلى وذلك تبعا للمصلحة فى الفعل •

وعلى ذلك لما عرف ان التكاليف الشرعيه مصلحة من الله تعالى عن طريق رسله •وكونها مصلحه موقوف على شروط واوصاف واوقات معينه وجب اعتقاد ذلك

(١) انظر المغنى جـ ١٥ صـ ١٢٦

ولو كانت واجبه فى كل وقت لبين الله ذلك للناس حتى لا تفوت المصلحه ٠

وهذه سنه الله تعالى لأن المصلحه لو لم تتغير بتغير الاوقات والاحوال والاشخاص ما كان ما هو مصلحه لزيد لا يكون كذلك لعمرو ،وما كان صالحا كان كذلك ابدا ،ولكن هذا باطل فى العاده والمشاهده ٠ فكيف يناقض العقل النقل فى ذلك وهو حاصل فى الشاهد وحكم العقل ٠

وقيل ايضا ان العقل يقصر عن ادراك شروط الصلاة والزكاة فكيف يناقض العقل ما هو جاهلا به ،وكذا جميع التكاليف الشرعيه بشروطها واوصافها واوقاتها الخاصة(١)

الشبهه الثانيه

يذهب البراهمة الى ان البعثه غير ضروريه لأن فى العقل عوض وغناء عنها ،مستندين فى ذلك الى ان فى استطاعه العقل الحكم بحسن وقبح الأشياء ٠

يقول البراهمة ان العقل يستطيع الحكم على الاشياء القبيحة بأنها قبيحه وعلى الاشياء الحسنة بأنها حسنه فما حَكَم العقل بحسنه كان حسنا وما حكم بقبحه كان قبيحا ،وما ليس له مظهر للحسن والقبح فالحكم عليه عند الحاجة وهذا هو المباح ٠ فإن الله خلق العقل للانسان للنظر والتأمل وجعله دلالة للمعرفه بحيث يصح الاستغناء به عن بعثه الرسل ٠

---

(١) هذا راى القاضى عبد الجبار المعتزلى انظر المغنى ج ١٥ ص ١٢٩

كما قال البراهمة أن ما جاء به الرسول اما أن يكون مناقض للعقل فلا يقبل ،فالمقبول مدلول العقول واما ان يكون موافقا للعقل فيستغنى بالعقل عنه ،لأنه تحصيل حاصل ولا تكون للبعثه فائده، فتبطل(١)

رد هذه الشبهه

١ - قيل فى رد هذه الشبهه ان العقل قاصر على معرفه الحسن والقبيح والدليل على ذلك ان هناك من التكاليف الشرعية ما تكون حسنة شرعا ويحكم العقل بقبحها كذبح البهائم والانتفاع بها وكذلك ما يكون قبيحا شرعا ويحكم العقل بحسنه كتحريم بعض الثمار وملاذ الدنيا .

ودور العقل فى ذلك هو فهم الشرائع فينتفع بها ويتجنب الهلاك(٢) كذلك العقل لا يستطيع معرفة السمعيات ولا شئ منها يحصل باضطرار والا كان الله قادرا على بيان احوالها للعقل ولا احتاج لمعرفه ذلك بالتجربه التى تؤدى الى هلاك النفس(١)

وقيل ايضا فى رد هذه الشبهه العقل وان كان فى استطاعته الحكم بالحسن والقبح على الأشياء إلا أنه لا يستطيع ذلك على الاطلاق اى ان هناك طرق يعرف بها الافعال فهناك من الافعال ما يعرف حسنه عقلا عن طريق الاضطرار ،ومنها ما يعرف عن طريق النظر ،ومنها مالا يعرف لا بالاضطرار ولا بالنظر وهو مالا يعرف الا بالشرع(٢)

---

(١) المواقف ص٣٤٥ وهو راى الاشاعره (٢) انظر المحيط بالتكليف ص٢٣ يعرف

وعلى ذلك فالتكاليف ــ على رأى من رد هذه الشبهة ــ منها ما هو تكليف عقلى وطريقه معرفته العقل وهذا اليه اما الاضطرار او بالاستدلال . ومنها ما هو تكليف سمعى وطريقه السمع من الرسول وهو مالابد فيه من الاستدلال (١) وعلى ذلك فلا يمكن للعقل الاستقلال بالمعرفة دون السمع والاستغناء به عن بعثة الرسل .

والدليل على ذلك أن المعرفه العقلية حقائق عامه تحتاج الى التفصيل بأعيان الافعال الحسنه والقبيحه ، ولا طريق لذلك الا من جهة العليم الخبير بطريق رسله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

كذلك العلم بالواجبات العقليه يتوقف على الشرع ، فالشرع ضرورى لمعرفة وظائف العبادات وتعيين الحدود ، لأنه ان كان وجوب المصلحه وقبح المفسده مقررين عقلا اى انه لو استطاع العقل معرفه أن المصلحه واجبه وان القبح فاسد الا انه لا يمكن معرفه ان هذا الفعل بعينه مصلحة وذاك مفسدة واذا وصل الى البعض منها لا يكون الا بالتجارب الكثيرة والاجال الطويلة مع ما فيه من هلاك البشر ، فلو دل العقل مثلا على وجوب شكر المنعم ، الا انه لا يعرف كيفيه شكره وبأى الافعال تتم فيعجز عن ذلك ولا يعرف الا بطريق الرسل .

كذلك طريقة الشرائع مبنيه على اختلاف احوال المكلفين واختلاف الاوقات والأماكن وشروط الافعال فكيف يدل العقل مثلا على ان صوم يوم النحر لا يكون عبادة وقبله يكون عبادة ، وكيف يعلم العقل أن الطواف يجب ويحرم عند غيرها كذلك كيف يعلم العقل ويدل على ان الصلاة بلا طهارة لا تجب وتجب بالطهارة فإن ذلك حالها فى وقت دون وقت وشخص دون شخص كما فى الحائض والطاهر (٢)

---

(١) انظر المحيط بالتكليف ص ٢٣

(٢) انظر المغنى للقاضى عبد الجبار ص ٢٦ : ٢٩ جـ ١٥

وهكذا تقرر ان العقل لا يستقل وحده بالمعرفه وانه محتاج الى الشرع فى تفصيل معارفه حتى تكتمل وتتم الفائده والمصلحه ،وهذا حق فكما لا يستغنى عن الطبيب ـ بما تقرر عقلا من وجوب دفع الضرر عن النفس فى معرفه ان هذا بعينه نافع للمريض وذاك ضار ،فكذلك لا يستغنى عن الرسل ،الا ان الشرع أقوى فى ذلك لأن العلم عن طريق يقينى لكونه من العالم الوهاب ـ سبحانه ـ واما علم الطبيب يحصل بالتجربه والمران لأى شخص ،ولا يحصل العلم بالشرع الا من جهة الشارع الحكيم بطريق رسله .

نكتفى بهذا القدر من شبهه البراهمه لانكار الرساله وامكانيتها .

حاجه البشر الى الرسل

اتفق المسلمون جميعا على ان البشرية فى حاجة ماسة الى الرسل لما فيها من المصلحه للعباد فى دنياهم وآخرتهم ،فالنبوة تحدد انواع الاعمال التى بها تناط سعادة الدارين .

ونوجز فيما يلى فوائد الرسالة :

١ـ النبى سبب صلاح البشرية فى دنياهم

الانسان مدنى بطبعه فهو يحتاج الى المشاركة والمعاملة مع بنى جنسه ولذلك اقام المدن وانشأ المجتمعات ،وتاريخ وجود الانسان شاهد بذلك بدليل ما وهبه الله من قوة النطق لشدة الحاجة الى التفاهم والتخاطب مع بنى جنسه لقضاء المصالح .

وهذه المعاملة تحتاج الى قانون يسيرون بمقتضاه يكون مبنيا على العدل والانصاف ،ومتوافقا مع جميع الاطراف . ولما كان التغلب موجود في الطبائع البشرية ،فكل شخص طبع على تحقيق مطالبه حتى لو كان ذلك اضرار بالغير .

لذا استحال على العقل البشرى ان يضع قانونا عاما يصلح لكل زمان ومكان ويرضى مختلف الاهواء والمصالح ،ولذا قال الغزالى " لو تركت ازمة الفكر الانسانى للاجتهاد المحض حتى يكونوا هم الذين يعرفون المفاسد من انفسهم ويبتعدون عنها بعقولهم ،ويعرفوا الفرق بين الداء والدواء ،والاغذية النافعة والسموم الضارة ،لضل الناس فى الاهتداء الى ذلك حتى مع الجهد الطويل والنظر ،ولما وصلوا الى حقيقة عامة صالحة لكل وقت وكل حال(١)

لذا كانت الرسالة من اهم الضرورات للبشرية ،بل هى اهمها على الاطلاق فهى تهدى البشر الى الطريق القويم ،وتطهر نفوسهم من الدنس والخطايا التى لا سبيل الى علمها الا عن طريق الرسل ،وتقويم الاخلاق على اساس من المودة والرحمة ،والمعاملة الطيبة بين الناس ،بأن يرعى كل منهم حق غيره مع مراعاة حق نفسه ،ولا يستحل الدماء الا بالحق ولا يستحل الانتفاع بما كسب الغير الا بالحق ،ويحملون البشرية الى الاهداف الساميه ،والتحلى بالاخلاق الحميدة من الامانه والصدق والتقوى والصلاح والعفة ،وبذلك يستقيم حالهم وتنشأ بينهم المعاملة الطيبة على اساس من المحبه والمودة والرحمة والمؤاخاة ،ولا يخفى ما فى ذلك من صلاح للبشرية وازدهار للمدنية ،وذلك لأنه قانون الهى فيكون ادعى الى انقياد البشر له والاستماع منه ،والسير على سنته مع الخوف من تركه .

---

(١) الشهادتان للغزالى

٢ـ بيان الامور الغيبيه . ويتمثل الغيب فى :

اـ الايمان بالله سبحانه ،واليوم الآخر والملائكة والكتب ،والرسل والقـــدر والايمان بكل ما اخبر الرسل به وجاء فى ثنايا الكتب من الأمور المغيبه عنـــا

مثل الجن والشياطين والأمور التى تكون فى اليوم الآخر من صراط وميزان وجنة ونار .

والتنبيه على ان الشر من وساوس الشيطان لمحاسبة النفس على خواطرهــــا وحثهم على التخلص من وساوس الشيطان ،لأنها تؤثر على الأرواح كما تؤثـــر الميكروبات على الأجسام ،فكما يجب على الناس اتقاء شر الميكروبات حفظا لاجسامهم كذلك يجب اتقاء شر وسوسة الشيطان حفظا لأرواحهم .
قال تعالى : (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهـــم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم)(١)

صح ذلك فى الذين يستخدمون ما توصلوا اليه من علم وثروة ـ وكله من عنـد الله ـ للعداوة بينهم وفى القتل والتدمير ،وليس ذلك الا بوسوسة الشيطـــان فلو علموا ذلك حاسبوا انفسهم على الانقياد له ،فيكون ادعى الى الرجوع الـــى الحق لقوله تعالى : (وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيـــه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)(٢) .

بـ الأمور المتصله بالحياة الآخرة

الاعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وان لها حياة أخرى بعد حياتها

(١) سورة النحل ايه ٦٣ (٢) سورة النحل ايه ٦٤

فى الدنيا تتمتع فيها بالنعيم وتشقى فيها بعذاب اليم جزاء على عملها ،مغروس فى الطبيعه البشرية بمقتضى الفطره التى فطر الناس عليها ،والنفس تشعر انها انما خلقت باستعدادات لتلقى علوم كثيرة ومختلفة وان غايتها غير محدودة .

وكل نفس مطبوعه على تحقيق الآمال والاهداف المختلفه الغير محدوده ، ولكن الانسان مع ذلك معرض للأمراض والموت دون الوصول الى تحقيق اهدافه

لا يمكن ان تكون قاصرة على ايام وسنين ،فلا بد اذن من حياة اخرى يحياها فى طور آخر ، ولكنه مع توصله الى ذلك بالنظر والفكر إلا انه عاجز عن معرفة تفاصيل هذه الحياة الأخره وحقيقتها ،كما انه ليس كل انسان يتوصل الى معرفة ذلك .

وعلى ذلك فالانسان محتاج الى من يعرفه كنه هذه الحياة ،كما انه محتاج الى ما يؤكد له ما قد توصل اليه بعقله ،فالهدايه الى ذلك مما يعجز العقل عن بلوغ شئ منها ،فليس فى الشاهد ما نعلم به الغائب ،ويكون دليلا عليه ،فالانسان لا يوهب الهدايه التى وهبت للنحل فى تدبير امورهم .

واذا كان العقل قاصرا فى تدبير أموره الدنيويه فيكون كذلك فى امور الدين أولى ،وخاصة ان هذه الحياة غامضه والكون مجهول ،وكذلك علة الشاهد بالغائب المجهول ،فلا بد اذن من كاشف لهذا الكون والحياة الغامضة .

ولذا كانت بعثه الرسل رحمة من الله بعباده لهدايتهم فيما اختلفوا فيه فيعرفون تلك الأمور الغيبيه من الحياة الآخرة والثواب والعقاب والجنة والنار ،الى غير ذلك على قدر الطاقة البشريه حتى اذا ما عرف الانسان ذلك امتثل لأوامر ربه ونواهيه ،فكان صلاحا لهم فى دينهم وآخرتهم .

حـ الوفاء بحاجة الطبيعة البشريه للهداية :

لم يقف الانسان على حد التنافس فى اللذائذ الحسيه والغرائز الماديــة فحسب بل قدرت له لذائذ روحانية ، فإن الانسان عند النظر والتفكير يهتـدى فى كثير من الاحيان الى وجود قوة عظيمه ، أقوى من جميع الموجودات الــتى يطرأ عليها التغيير وهذه القوه تتصرف فى الموجودات بحكمة بالغة وبارادة لا يعرفها الانسان ، الا انه لا يعرف حقيقة تلك القوة ولا صفاتها ولا شيئا ممــا يتصل بها ، ويشعر من نفسه انه تواق إلى معرفة تلك القوة سواء كان مــن حسه ، او عن طريق عقله وتفكيره ، فتحمله الافكار فى مجاريها وترمى به الــى حيث لا يدرى ، ولذلك اختلف الناس قديما فى تفسير تلك القوه كلا تبع مــا يهديه اليه تفكيره وفكره .

فمنهم من تأولها ببعض الحيوانات لكثره نفعها ووقوع الضرر من بعضهــا بما أودع الله فيه من قوة ، ومنهم من تمثلها فى بعض الكواكب لظهور اثارهــا ومنهم من راى فى بعض افراد من البشر قوى لها من التأثير فيه ما يجعلــه يعتقد ان به قوة خارقه فيتخذه الها .

نعم ان البعض منهم قد توصل بالنظر والتأمل ورقة الوجدان الى ان هذه القوة الغيبيه الباهرة هى قدرة الله القاهر الخالق لكل شئ ، ولكن معرفتــه به لم تكن خالصة من التخبط والتعثر فى الوصول الى الحقيقة الكامله لغموض ذلك .

على ان هذه الاشياء التى تمثلوها آلهة كان يلحقها التغيير والتبديــل والفناء فلا يصح كونها خالقه للكون والاحياء ، فلا بد من باق مريد خالــق

قاهر قادر ،ولذلك ظل الخلاف قائما والرشد ضائعا ،وكان ذلك سببا في الخلاف بينهم والتقاطع والشقاق لاختلافهم في الآراء دون الاهتداء إلى رأى يكون له الغلبه بحيث يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه صالحا لكل البشر في كل وقت وكل مكان .

فلا بد اذن من أن يكون نابعا من رب العالمين عن طريق رسله ليبسروا للناس معرفة ربهم ويبينوا لهم ما يجب في حق الله ـ سبحانه ـ وما يستحيل وينقلوا اليهم اوامر ربهم ونواهيه ،بما فيه الصلاح لهم والهداية وعلى ذلك فالرسل هم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة (وقالوا الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق(١))

وهكذا فبعثة الرسل هي الطريق الى هداية البشرية ،والأخذ بأيديها الى ما ينبغي الوصول اليه من سعادة في الدنيا والآخرة .

د ـ بيان حدود الله ـ سبحانه ـ

في الحلال والحرام ،وتوضيح شرائعه من عبادات ومعاملات واخلاق وهذه الحدود وتلك الشرائع لا مجال للاراء فيها ولا مدخل للعقل اليها وحتى تكون جامعة للكلمة مانعة من التفرقة .

فبعثة الرسل ضرورية سواء كانت لمعرفة العبادات نفسها او لمعرفة الشروط التي لا تتم تلك العبادات الا بها .

---

(١) سورة الاعراف ايه ٤٣ (٢) سورة النجم الايات ٣ ،٤

وعلى ذلك فبعثه الرسل من اهم حاجات البشريه ، لأن العلم الآتـي عن طريقهم يقيني لا يقبل الشك (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحـي يوحـى (١)

كذلك فهو قانون الهى صالح لجميع البشر فى كل زمان ومكان ينقـاد الناس اليه رغبه لا رهبة حبا لا كرها ، طواعية لا جبراً .

يبين ذلك انه كان للفيلسوف الرئيس بن سينا خادم متعلم معجـب بعلومه وفلسفته وكان يعجب منه كيف يدين بمله محمد على الله عليـه وسلم ـ ويتبعه ، وهو فى رايه اعلم منه وارقى ، وكان يذكر له ذلك دائمـا لكن بن اسينا كان لا يجيب سؤاله ويوبخه عليه .

فحدث مرة ان كان الشيخ وخادمه فى مدينة اصفهان فى ليلة كانت شديدة البرد وكثر فيها الثلج فأيقظ الرئيس خادمه وقت السحر وطلب منه ماء ليتوضـأ فاعتذر الخادم لشدة البرد ، ثم ايقظه الرئيس ثانية وقت اذان الفجر وطلـب منه الماء ، فاعتذر ايضا لشدة البرد ، حتى اذا قال المؤذن " اشهد ان محمدا رسول الله " قال الرئيس لخادمه : الآن قد حان الوقت لكى ابين لك ضلالك القديم ، انك خادمى لا عمل لك غير خدمتى ، وانك اشد الناس اعجابا بـي واجلالا وتعظيما لى ، حتى انك تفضلنى على رسول الله ، وتنكر على ايمانى بـه واتباعى اياه ، وانك على هذا كله تخالف أمرى فى أهون خدمة اطلبها منـك فى داخل الدار ، فتعتذر بشدة البرد ، وان هذا المؤذن الفارسى يخـرج من بيته قبل الفجر ويصعد هذه المناره وهى اشد مكانا فى البلد بردا حـتى

---

(١) سورة النجم الآيات ٣ : ٤

اذا لاح له الفجر اشاد في اذانه بذكر محمد العربي بعد مرور اربعة قرون ونيف على بعثته ايمانا وتعبدا واحتسابا .

فهذا ان دل على شئ فلا يدل إلا على ان القانون الإلهي عام وصالح وانه دستور نافع صالح للناس في كل زمان ومكان الى يوم الدين ما دام فهمنا له صحيحا والايمان به راسخا .

ثانيا : الـــوحـــى

الوحـــى

مقـدمـة

الوحى هو اساس الدين الالهى ،وعليه تقوم كل الرسالات الالهيه . فعن طريق الوحى يعرف الرسل ـص ـ مراد ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ ثم يبلغونه الى الناس ليدينوا به ويسيروا على هداه .

والوحى هو الذى يميز الرسل عن سواهم من الناس ،اذ بدون الوحى يصير الرسل كغيرهم لا امتياز لهم ،ولكنهم امتازوا عن الناس بالوحى حيث انه هو الصلة بينهم وبين الله .

والوحى هو الذى يميز لدين الحق ـ دين الله تعالى ـ عن غيره من الاديان الوضعية الباطلة ،فالاديان الوضعية لا وحى فيها ولا نبوة ولا رسالة ،وانما هى دعاوى تقوم على اوهام بشرية باطلة .

اما دين الله تعالى الذى جاء به رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم ليس فيه شئ من أفكار البشر وأوهامهم . ولكنه يقوم على وحى خالص من الحق ـ عز وجل ـ والرسل بمقتضى بشريتهم لا حظ لهم فى دين الله الا التبليغ فقط ،حتى ان الوحى كذلك قد تكفل ببيان اسلوب التبليغ وكيفية الدعوة ،فلم يقف عند حد بيان التعاليم والشرائع الدينية بل تعدى ذلك الى بيان اسلوب تبليغها الى الناس .

يقول تعالى لآخر رسله عليه الصلاة والسلام : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظه الحسنه وجادلهم بالتى هى احسن) (١)

ويقول سبحانه :(ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم) (٢)

---

(١) سورة النحل ايه ١٢٥ (٢) سورة العنكبوت ايه ٤٦

ويقول تعالى : (فبما رحمة من الله لنت لهم ،ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) (١)

لذلك كان دين الله - سبحانه وتعالى - قائما على الوحى الالهى ،وكان كل ما يأتى به الرسل من شرائع الدين انما هو من قبل الله ،وليس من قبل انفسهم .

قال تعالى : (وما ينطق عن الهوى ،ان هو الا وحى يوحى) (٢)

ولان للوحى هذه المكانه بالنسبه لدين الله ،ولانه هو الاساس الذى يتلقى منه الانبياء والرسل - ص - مراد الله تعالى - فقد صار واجبا ان نعقد ذلك البحث عن تعريفه وبيان المراد به فى جانبى اللغة والشرع . ثم نتكلم عن امكان الوحى ،ثم نورد بعض شبه

الوحى فى اللغة

جاء فى مختار الصحاح الوحى الكتاب وجمعه /(وحى) مثل جلى وجلى وهو ايضا الاشارة ،والكتابة والرسالة والالهام والكلام .
وكل ما القيته الى غيرك يقال (وحى) اليه الكلام يحيه (وحيا)و (اوحى) ايضا وهو ان يكلمه بكلام يخفيه ،و (وحى) و (اوحى) ايضا اى كتب .

واوحى الله الى انبيائه ،واوحى اشار قال الله تعالى : (واوحى اليهم ان سبحوا) .

(١) سورة ال عمران اية ١٥٩

(٢) سورة النجم أيه ٣، ٤

وجاء فى القاموس المحيط

(الوحى) الاشارة والكتابه والمكتوب والرسالة والالهام والكلام الخفى وكل ما القيته الى غيرك ،والصوت يكون فى الناس وغيرهم كالوحى والوحاء .

ج واوحى اليه بعثه والهمه ونفسه وقع فيها خوف ،والوحى السيد الكبير والنار والملك والعجله والاسراع ،ووحى وتوحى اسرع ،وشئ وحى عجل مسرع واستوحاه حركه ودعاه ليرسله ،واستفهمه ووحاه توحيه عجلة (١).

فالمعنى الذى نأخذه من كل المعانى التى وردت للفظة (وحى) فى المعاجم انما هو الاعلام بصورة عامة سواء كان كلاما ،او اشاره ،او كتابه ، او الهاما ،وقد يراعى مع ذلك السرعة والخفاء ،اما الالهام فهو الاعلام بالقاء العلوم والمعارف فى الخاطر ووضعها فى قلب الموحى اليه .

الوحى فى القرآن الكريم

وردت لفظة الوحى فى القرآن العظيم بمعان عدة منها :

١ ـ الغريزه قال تعالى :

(واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا) (٢)

٢ ـ بمعنى الاعلام والاشارة لقوله تعالى :

(فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا) (٣)

---

(١) القاموس المحيط ماده (وحى) (٢) سورة النحل ايه ٦٨

(٣) سورة مريم ايه ١١

٣ ــ الخلق والتقدير لقوله تعالى :
(فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء امرها) (١)
(يومئذ تحدث اخبارها بأن ربك اوحى لها) (٢)

٤ ــ الوسوسه والاضلال قال تعالى :
(وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم) (٣)
(يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) (٤)

٥ ــ التعليم بمعنى ارسال الملك الى رسل الله :
(ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى) (٥)

الوحي في اصطلاح المتكلمين

هو اعلام الله تعالى نبيا من انبيائه بحكم شرعي ونحوه وهو :
١ ــ اما ان يكون الكلام من الله للنبي او الرسول بدون واسطه من ملك من الملائكة . وذلك كما كلم الله تعالى نبيه موسى ــ عليه السلام ــ في طور سيناء : (فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني انا الله رب العالمين وان الق عصاك) (٦)
وكما حصل لنبينا ــ عليه الصلاة والسلام ــ ليلة الاسراء والمعراج ، بيد ان تكليم الله لانبيائه امر لا ندرى كنهه ، وليس على النحو الذى نألفه بين المتخاطبين من تكاشف ومشاهدة . كما قال تعالى : (وما كان لبشر ان

(١) سورة فصلت آية ١٢
(٢) سورة الزلزله آية ٤ ، ٥
(٣) سورة الأنعام آية ١٢١
(٤) سورة الأنعام آية ١١٢
(٥) سورة النجم آية ٤ ، ٥
(٦) سورة القصص آية ٣٠ ــ ٣١

يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ،او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم) (١)

٢ ـ واما ان يكون كلام الله لرسوله بواسطه ملك من الملائكه ليبلغ الى رسله ما شاء الله من الاوامر والنواهى ،ومن ذلك نزول القران الكريم على الرسول الكريم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٢)

٣ ـ واما ان يكون كلام الله لرسله عن طريق الالهام ،وهو ان يلقى في قرار النبى ما اراده الله تعالى .

٤ـ واما ان يكون كلام الله تعالى لرسله عن طريق الرؤيا فى المنام .. كما حدث لسيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ـ فيما جاء عنه فى القران الكريم ،حين قال لولده اسماعيل (يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر) (٣)

فاعتبر اسماعيل ـ عليه السلام ـ رؤيا ابيه وحيا بمثابه أمر صادر له من الله تعالى واجب التنفيذ ،فلم يقل يابت افعل ما رأيت فى منامك ولكن افعل ما تؤمر فرؤياك امر اى وحى .

امكان الوحى

ليس الوحى من الامور المستحيله ،فالعقل لا يجد ما يمنع من اصطفاء الله لاحد عباده ويقوى ارواحهم لتلقى الوحى .

---

(١) سورة الشورى آية ٥١

(٢) انظر الدين والوحى والاسلام مصطفى عبد الرازق ٤٣،٤٦

(٣) سورة الصافات آية ١٠٢

وامكان الوحى يرجع الى امرين

١ ـ الاستعداد النفسي للرسول

فالنبى -عليه السلام- له جانبان بشرية ورسالية (قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا) (١)

فبجانب يتلقى الوحى وبجانب يؤدى الرسالة ،فلا مانع من ان يتلقى النبى الوحى ، وخاصة ان الادراكات البشريه متفاوته وان نفس النبى ظلت طاهرة على اصل ما فطرت عليه ،وخصها الله بكمالات هيأتها للمقدره على رؤية الملك بصورته الأصليه وذلك بطريق خارق للعادة .

٢ ـ الاقرار بوجود الملائكة

وهو وجود ملائكة تبلغ الوحى ،ودليل ذلك من القران الكريم والسنه النبوية المطهرة .

قال تعالى : (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) (٢)

(والله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (٣)

فهذا يدل على وجود الملائكة وجواز اصطفاء احدهم لتبليغ اوامر الله الى الرسول .

ومما يدل على امكان الوحى وجواز اتصال النبى بالملك قوله تعالى :

(ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده) (٤)

(والله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (٥)

(١) سورة الاسراء آية ٩٣

(٢) سورة الانعام ايه ٩

(٣) سورة الحج ايـــه ٧٥

(٤) سورة النحل ايه ٢

(٥) سورة الحج ايـــه ٧٥

(وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى •علمه شديد القوى •ذو مــرة فاستوى •وهو بالافق الاعلى •ثم دنا فتدلى •فكان قاب قوسين او ادنــى • فأوحى الى ربه ما اوحى) (١)

والدليل من السنه النبويه

حديث السيدة عائشة رضى الله عنها : ان الحارث بن هشام رضى اللـه عنه سأل رسول الله فقال (يارسول الله كيف يأتيك الوحى •فقال رسول اللـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشد علـى فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال •واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعـى ما يقول) قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رايته ينزل عليه الوحى فى اليـوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقـا (٢)

وكذلك حديث جبريل الذى يفيد ان جبريل جاء ـص ـ فى سوره انسان اعرابى وجلس حتى الصق ركبته بركبة الرسول وقال يارسول الله مـا الاسلام ؟

فقال ان تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكـاء وتصوم شهر رمضان •وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا •قال صدقت ثـم قال : ما الايمان ؟ قال ـ عليه السلام ـ ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسلـه واليوم الاخر •وان تؤمن بالقدر خيره وشره • قال : صدقت ثم قال : ما الاحسان قال : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك •قال : صدقت •ثـم قال : متى الساعة قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فما المسؤل عنها بأعلم مـن

---

(١) سورة النجم الآية ٣ـ١٠ (٢) صحيح البخارى

السائل ثم قام فقال النبي هذا جبريل جاءكم يعلمكم امر دينكم •
فهذا امر ممكن لان من طبيعة الملائكة التشكل بأشكال وهيات مختلفة •
فكل ذلك يدل على وقوع الوحى •

لن نطيل فى الكلام عن قضية امكان الوحى •فان اجماع المتكلمين عليهـــــا
واضح لا لبس فيه •مما لا يدع مجالا لاطالة الكلام والبحث حولها •

ثالثا : المعجـــزه

المعجزة

يرتبط بحث المعجزات بموضوع النبوة من حيث ان المعجز هو الأصل في اثبات النبوة للناس ،ولذلك امتاز الرسل بظهور الخوارق للنواميس ،وتاريخ الأديان ملأى يذكر حوادث من هذا القبيل .

فقد كان من الطبيعي ان يطالب الناس من مدعي النبوه دليلا على صدقه ، لانه يأتي بتغيير الاوضاع القائمة والدعوة الى الامتثال لدين يخالف ما هم عليه وذلك ثابت من قصص القران الكريم

١ـ فقد جاء صالح عليه السلام الى ثمود يخبرهم انه نبي من عند الله ثم يصيح فيهم (فاتقوا اللهَ واطيعون ولا تُطيعوا امر المسرفين الذين يَفسدون في الارض ولا يُصلحون) (١)

ولكن ثمود ردوا هذا النصح وطالبوا صالحا بالبرهان على انه نبي (قالوا انما انت من المسَحَّرين ،ما انت الا بشر مثلُنا فأتِ بآيةٍ ان كنتَ من الصادقين قال هذه ناقةٌ لها شِرب ولكم شِربُ يوم معلوم ،ولا تَمسُّوها بسوء فيأخذَكم عذابُ يوم عظيم) (٢) .

فكان طلب ثمود معقولا ولذلك جاءت الإجابه بما طلبوا وكانت الطريقة التي وجدت وعاشت بها هذه الناقة خارقة لما تعارف عليه القوم واعتادوه ،ودل على أنه اثر لقدرة الله تعالى الذى جاء صالح يدعوهم اليه .

---

(١) سورة الشعراء الايه ١٥٠ ـ ١٥٢ (٢) سورة الشعراء ايه ١٥٣ ، ١٥٦

نصيب من الماء لا تزاحموها فيه

٢ـ كذلك فزع موسى ـ س ـ الى طلب هذا الدليل عند ما كذبه فرعون فى دعواه انه مرسل من رب العالمين وهدده قائلا : (لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين قال أو لو جئتك بشئ مبين ، قال فات به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين)(١)

وكذلك فعل عيسى ـ عليه السلام ـ وغيره من الأنبياء .

وقد حاول البعض تفسير المعجزة على انها امر عادى حصل بطريق الصدفة او عن طريق العلم ، وفسرها البعض على انها نوع من السحر . (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون) (٢)

واذا كان الرسل والانبياء فى حاجة ماسة الى ما يثبت صدق دعواهم حتى يستمع اليهم الخلق ويتبعوهم واذا كان ذلك المثبت لدعوى النبوة هو المعجزة فلعله من المهم ان نتعرف على المراد بالمعجزة فى اللغة او فى لسان العرب ثم فى الاصطلاح او لدى علماء الكلام حتى نكون على بصيرة من هذا الامر الذى تشوبها بأهمية وخطره انه سند الانبياء فى دعواهم ووسيلتهم فى الوصول الى قلوب الناس وعقولهم .

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٩ : ٣٣

(٢) سورة الحجر آية ١٤ ، ١٥

المعجزة فى اللغـــة

قال البغدادى العجز فى اللغة مأخوذ من العجز او الاعجاز والمعجـــز فى الحقيقة فاعل العجز فى غيره وهو الله سبحانه (١) ومعجزة الـنبى ـص ـ ما اعجز به الخصم عند التحدى والهاء للمبالغة (٣) .

المعجزة فى الاصطلاح (عند المتكلمين)

اتفق المتكلمون على ان المعجز هو الامر الخارق للعادة المقصود بـــه اظهار صدق النبى فى دعواه . فهو مختص بالانبياء والرسل وحدهم ويعجـــز الخلق عن الاتيان بمثله .

والمعجزات منها ما هو حسى ومنها ما هو عقلى

فالحسى ما يكون ادراكه بالبصر كناقة صالح وطوفان نوح ونار ابراهيم وعصا موسى على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .

والعقلى ما كان ادراكه بالبصيرة ،كالاخبار عن الغيب تعريضا وتصريحـــا والاتيان بحقائق العلوم التى حصلت من غير تعلم ،وهو ما يختص بادراكـــه ذو العقول الراجحه فيؤثر فيهم اكثر من تأثيره على العامة (٢)

(١) اصول الدين للبغدادى ص ١٧٠

(٣) انظر اصول الدين للبغدادى

(٢) القاموس المحيط مادة عجز

شروط المعجزة

ذكر المتكلمون شروطا ثمانية للمعجزة هي :

١ ـ ان يكون واقعا من الله تعالى حقيقة وتقديرا

٢ ـ ان يكون ناقضا للعادة

٣ ـ ان يكون مختصا بمن يدعى النبوة على طريق التصديق له

٤ـ الا يتقدم المعجز عن دعوه النبوة ولا يتأخرعنها بان يكون عقيب دعوى النبوة

٥ـ ان يكون مطابقا لدعوى الرسول

٦ـ ان يتعذر على العباد فعل مثله او معارضته

٧ـ ان تكون فى زمن التكليف .

الشرط الاول

١ ـ ان يكون واقعا من الله تعالى :

اذا سأل الرسول الله ما يدل على صدقه فيجب ان يكون ذلك من فعله تعالى ـ لان الله هو الذى حمله الرساله فيجب ان يكون التصديق من جهته ولا يصح فى ذلك ان يكون من فعل المدعى .

الشرط الثانى

٢ ـ ان يكون ناقضا للعادة ،فلو ادعى احدنا النبوة وجعل معجزته طلوع الشمس من مشرقها وغروبها من مغربها لم تكن دعواه صحيحه ،ووقوع ذلك لم يدل على صدقه لكونه غير ناقض للعادة فيشترك فيه الصادق والكاذب .

الشرط الثالث

٣ ـ ان يكون مختصا بمن يدعى النبوة ،فالمعجز لا يختص الا بالانبيـــاء عليهم السلام تصديقا لهم بدعوى النبوة ،لان ظهور المعجز على غير النـــبى مفسده لانه اولا يصرف الناس عن النظر فى المعجز الذى على يد النـــبى لتصديقه ،وثانيا لوظهر على يد غير النبى لجاز ظهور المعجز لغيـــــر التصديق وهو باطل

الشرط الرابع

٤ ـ لابد للمعجز ان يكون عقيب دعوى النبوة لا متأخر عنها ولا متقـــدم على ذلك فلو قال معجزتى ما قد ظهر من قبل لم يدل ذلك على صدقـــه ويطالبه الناس به او بغيره من المعجزات بعد الدعوى فلو عجز كان كاذبـــا قطعا ،واما ما ظهر على الانبياء من خوارق العادات قبل البعثه فهى كرامة لهم وحينئذ تسمى ارهاصا اى تأسيسا للنبوة .

الشرط الخامس

٥ ـ وهو ان يكون المعجز مطابقا لدعوى الرسول ،فلو قال مدعى النبـــوة ان معجزته قلب العصا حية مثلا ،وظهر على يده خارق اخر كاحياء الموتـــى لم يدل ذلك على صدقه فى دعواه النبوه مع كونه معجزا .

الشرط السادس

٦ ـ ان يتعذر على العباد فعل مثله وذلك ليعلم انها فعل الله ،وعلى ذلك

يخرج السحر فهو تعلم قواعد يقدر معها على الاتيان بأفعال غريبه ،ويخرج كذلك الشعوذة وخفة اليد . فلو لم تتعذر المعارضة لامكن للكاذب ادعاء النبوة اوالرسالة

الشرط السابع

٧ - أن يكون فى زمن التكليف ،فلا تكون فى زمن نقض العادات ،فخرجت بذلك الخوارق التى ستصحب قيام الساعة ،فان الخوارق فى هذا الوقت ليست بمعجزة .

حكم المعجزة

المعجزة هى الأصل فى اثبات النبوات ولذلك فهى ضرورية ،لانه بدون الدليل على صدق الرسول يلتبس الأمر على الناس فلا يميزون بين الصادق والكاذب فيقعون فى الضلال ،فدعوى الرساله لابد لها من دليل والا كانت ادعاء لا سند له من الحقيقة .

فدليل صدق الرسول ضرورة لازمه تقتضيها ضرورة الرساله نفسها فالعقل يوجب ان يكون مع الرسول دليل صدقه يقدمه عند ما يطلب منه .

والمعجزة عند الاشاعرة جائزة وليست بواجبه ،من حيث انه لا يجب على الله شئ ،ولكن حكمه الله تعالى تقتضى ان يؤيد رسله بما يدل على صدقهم . فهى فضل من الله تعالى ورحمة منه يظهرها على من يشاء من عبادة .

فهى ممكنه وواقعه فعلا بدليل ما جاء فى القران الكريم عن معجزات الانبياء

والرسل السابقين ،والقران الكريم وهو معجزة المعجزات موجود بين ايدينـــا فقد حفظه الله تعالى آيه باقى إلى يوم الدين .

اقسام المعجزة :

تنقسم المعجزة إلى :

ا ـ ترك كعدم احراق النار لابراهيم عليه السلام

بـ فعل كأن يصدر عنه ما لا يقع فى استطاعة غيره او مثله ،وهو مؤيد بقدرة السماء كانقلاب العصا حيه على يد موسى ـ عـ وكاحياء الموتى على يد عيسى .

جـ قول . كالقران الكريم والاخبار بالمغيبات .

وجه دلالة المعجزة

المعجزة تدل دلاله يقينيه على فيما يذهب اليه من انه رسول وللعلماء فـــى وجه دلاله المعجز على صدق الرسول اقوال .

١ ـ دلاله سمعيه اى انها ثابته بطريق السمع من جهة الرسول .

٢ ـ انها دلاله عقلية لان العقل يحيل تصديق الله للكاذب لان تصديـــق الكاذب كذب والكذب محال على الله تعالى . فان خلق المعجز على يد الرسول موافقا لدعواه مع عجز العباد على المعارضه يدل عقلا على اراده الله تصديقـــه .

٣ ـ دلاله المعجز على صدق الرسول دلالة ضرورية عادية ، فان العادة جاريه بامتناع تصديق الكاذب بالمعجز ، وعلى ذلك فخلق المعجز على الوجه الخاص يدل عادة على تصديق الرسول .

٤ ـ دلالة المعجز على صدق الرسول دلالة وضعية ، كدلالة الالفاظ على معانيها فهى بمنزلة قولة تعالى : صدق عبدى فيما يبلغ عنى ، وعلى ذلك كانت مستحيله ظهورها على يد الكاذب لما يلزم عليه من كذب الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ثالثا : السمعيات

اليوم الآخر

حينما تحين ساعة النهاية لهذا العالم ، الساعة التي لا يعلمها الا الله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (١) . تأتى نهاية الحياة وتنعدم بكل مظاهرها وتتبدل .

فى هذه الساعة يأمر الله تعالى من وكله بالنفخ فينفخ فى الصور النفخة الأولى فيصعق من فى السماوات والأرض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فاذا بالموتى يقومون من قبورهم ويظهرون من الأرض كما تظهر الزروع من الأرض .

وبعد النفخة الثانية تبدأ المرحلة الثانية والأخيرة من مراحل الوجود وهى مرحلة القيامة واليوم الآخر .

والنفخة الأولى كما يرى اكثر المفسرين هى المذكورة فى سورة النمل قال تعالى (ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض الا ماشاء الله وكل واخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى كل شئ انه خبير بما تعلمون)

والنفخة الأولى نفخة الفزع كما جاء فى الآية السابقة ويكون على اثرها خراب العالم وتبدد اجزائه فالأرض تتزلزل وتضطرب اضطرابا شديدا فتشقق وتخرج مافى باطنها من كنوز قال تعالى : (اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض اثقالها) (٢) وتصبح الجبال رملا سائلا متناثرا مهيلا أى اذا حرك اسفله انهال عليه من أعلاه فهى

---

(١) الاعراف ١٨٧ (٢) الزلزلة ١ ، ٢

كالصوف المنفوش ٠
يقول تعالى : (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) (١)
وقال تعلى : (وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا) (٢)
أى صارت الجبال كالدقيق المبسوس وهو المبلول فكانت كالشعاع المتفرق الذى ليس بشئ ٠ كشعاع الشمس الذى يدخل فى الكوة كهيئة الغبار وليس بشئ ٠

كما تتدهور الشمس وتسقط وينطفئ ضوءها والنجوم تتساقط من السماء وتتناثر ويذهب نورها ٠ قال تعالى : (اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت) (٣)

فالزلزال الشديد الذى يحدث بالنفخة الأولى نفخة الفزع ينزل بالعالم كله أرضه وجباله وسمائه وسائر كواكبه وأجرامه مما يؤدى الى ذعر الخلائق واضطرابهم ٠ يقول تعالى مصورا ما ينزل بالناس من شدة وفزع : (يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) (٤)

فمن هول الفزع تنشغل الأم عن فلذة كبدها واعز من لديها فى الوجود ألا وهو ولدها الذى ترضعه وهذا أمر غريب على غير المعهود ٠ وتضع كل ذى حمل حملها قبل اتمام مدة الحمل ٠ كما يرى الناس سكارى وماهم كذلك ولكن الهول والفزع ذهب بعقولهم فأفقدها الوعى ٠

بعد هذه النفخه يموت كل الأحياء من أهل السماوات والأرض الا من شاء الله حتى يقبض الله أرواح الباقين ويكون آخر من يموت ملك الموت ٠ وينفرد الله عز وجل

---

(١) المزمل ١٤
(٢) الواقعة ٥ ، ٦
(٣) التكوير ١ ، ٢
(٤) سورة الحج ١ ، ٢

بالبقاء والدوام .

والنفخه الثانيه هى نفخة البعث والنشور:
وهذه النفخة لقيام الناس من قبورهم واجداثهم ليجمعوا للحساب لقوله تعالى : (ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون) (١) . أى أنهم يخرجون من القبور سراعا .

والمراد بالصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام ، لقوله على الله عليه وسلم (اسرافيل قد التقم الصور وحتى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ) (٢)

هذا مايكون فى اليوم الآخر من أحداث ومشاهد وفيما يلى نورد بعض التفصيلات لما سبق الحديث عليه من بعثه وحشر وحساب وقبل ذلك نذكر الأسماء التى اطلقت على اليوم الآخر كما يحدثنا عنها القرآن الكريم .

قد ورد فى القرآن الكريم عدة اسماء لهذا اليوم كل منها ينبئ عما يحدث فيه وما يحمل من معان متعددة .
فهو اليوم الآخر وقد سمى بهذا الاسم لاتصاله بآخر أيام الدنيا أو لأنه لاليل بعده ولا يوم بعده ولا نهاية له .

وسمى بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب)

---

(١) يس آية ٥١

(٢) سنن الترمذى كتاب صفة القيامة باب ماجاء فى شأن الصور .

وسمى بيوم الـدين لأنه يوم السؤال والحساب والجزاء فالدين معناهـا الجـزاء (يومئذ يوفيهـم الله دينـهم الحق) أى جزاؤهم على مافعلوه جزاء حقا لا ظلم فيه ٠ (مالـك يوم الدين) أى يـوم الجزاء ٠

وهو الحـاقة لأنه اليوم الذى يحق فيه الحق وتظهر فيه الأمور ٠ والحاقة أى الثابتة الصحيحة أو التى تبين الحق وتظهره ٠ قال تعالى : (الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة) فالمراد بها يوم القيام أو اليوم الآخـر فهى الواقعة الثابته التى لا خـلاف فيها ٠

وهو الغاشية لأنـها تغش الناس بأهوالها ٠ قال تعالى : (هل أتاك حديـث الغاشـية) أى يوم القيامـة ٠

وسمى كذلك بالقارعة لأنها تقرع القلوب بأهـوالها ، والقارعة المصيبة الشـديـدة قال تعالى : (تصيبهـم بما صنعوا قارعة) أى كارثة شديدة ٠ والقارعة يوم القيامـة ٠ قال تعالى : (القارعـة ما القارعـة)

وسمى كذلك بالصاخة ، والصاخة هى الصيحة الشديدة يوم القيـامة (فاذا جاءت الصاخة يوم يفـر المرء من اخيـه) هى الصيحة الشديدة المصمه للآذان يوم القيامة ٠

وسمى كذلك بالطامة الكبـرى لأنها مصيبة كبرى للكافرين والعاصيـن وداهية عظمى عليهـم ٠ الى غير ذلك من الأسمـاء التى يعجز هذا المختصر عن ذكرها جميعا ٠

البعث

البعث بمعنى العودة الى الحياة بعد فناء الجسم أى بعد الموت عقيدة قديمة آمن بها كثير من الناس فى عصور مختلفة واعتقدها كل حسب تفكيره وحسب الديانة والعقيدة التى كانت منتشرة فى تلك البلاد . ولنأخذ مثلا لذلك وهى الديانة فى مصر القديمة ، لقد اعتقد قدماء المصريين بعودة الروح الى البدن ليحيا حياة ثانية ، ولكن الحياة الثانية عندهم لم تكن لكل الناس ولكنها كانت للأخيار فقط دون الأشرار الذين يتركون فى قبورهم ، ويقوم الملك أوزيس بوزن اعمال الناس هو ومعاونوه .

ولم تكن الأعمال الصالحة هى الطريقة الوحيدة للنجاة من النار ولكن كما قال الكهنة للناس أن ارضاء الكهنة طريق آخر للنجاة من النار ، وكذلك كانت ديانة زرادشت تؤمن بالبعث ولكن للصالحين فقط كما هو الحال فى العقيدة المصرية القديمة .

ولكن اعتقاد الناس هذا فى القيامة لم يكن واضحا خالصا من الأخطاء فكانت السماء تمحح لهم أخطاءهم . وليس معنى أن الناس اعتقدوا فى القيامة أن الدنيا خلت ممن ينكرون البعث أو تنكرت للداعية اليه المعتقد فى وجوده .

فان القرآن الكريم يحدثنا عن فئات من البشر انكروا البعث فى كل عصر ومصر . قال تعالى : (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت) وقد رد القرآن الكريم عليهم مؤكدا البعث .

قال تعالى : (بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) (١)

وقال تعالى : (وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) (٢)

---

(١) سورة النحل آية ٣٨

(٢) سورة هود آية ٧

تعريف البعث

هو احياء الله الموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع اجزائهم الأصلية ، والأجزاء الأصلية هي التى من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره ولو قطعت قبل موته ، والأجزاء غير الأصلية هي التى ليس من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره كالظفر مثلا فانه لا يجمع .

الحكمة من البعث

لقد كرم الله بنى آدم فى الأرض وفضله على جميع خلقه وسخر له كل مافى السماوات والأرض لخدمته وقد أعلى من شأن الانسان أن خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته واسكنه جنته ، مخلوق بهذه المنزلة لم يخلقه عبثا ولم يتركه هملا ولذلك أرسل له الأنبياء والرسل لهدايته وارشاده الى الطريق القويم وأنزل له التكاليف الشرعيه التى تنظم علاقته مع الله خالقه ومع أخيه من بنى الانسان ، وكان فى هذا اهتمام الله تعالى بخلقه ، وكان اتماما للعناية بالانسان أن يفرق الله تعالى بينه وبين الحيوان الاعجم وذلك لا يكون الا عن طريق الحساب على ما فعل ، فالانسان كائن حر عاقل وكل من كان كذلك كان مسئولا عن عمله خيرا كان أم شرا لذا كانت البعثه تقييما لأفعال الانسان فى الدنيا ومجازاته عليها بالنعيم أو بالجحيم . قال تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)

ولا يخفى ما فى معرفه الانسان من أنه محاسب على أعماله من حكمة فلو لم يكن هناك تقييم لأعمال الانسان فى حياة ثانية ولو لم يعرف الناس أنهم محاسبون لتمادى الظالم فى ظلمه ويأس المظلوم من النصره مهما كان صبره وتحمله لظلم الظالم ، ولكن لو علم الناس انهم محاسبون ومراقبون لاستقامت الحياة واختفت الفوضى .

كما لايخفى ما فى البعث من اظهار عدل الله سبحانه وتعالى اذ ليس من العدل أن يسوى بين الخبيث والطيب والصالح والطالح والبر والفاجر قال تعالى : (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون) (١) وقال تعالى : (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يأولى الألباب لعلكم تفلحون) (٢)

وهو دليل على عدل الله تعالى من جهة أخرى ذلك أن الله تعالى يومئذ لا يظلم أحد مثقال ذره ، فمن عمل مثقال ذرة خيرا يره ومن عمل مثقال ذرة شرا يره ، وليس هناك من شفيع الا باذن الله وعلى وفق عدل الله فى الحساب ، فالأمر يومئذ لله تعالى فليس هناك من يشفع لكافر ليدخل الجنه أو لخبيث ليسوى بالطيب ، وليس هناك محاسبه الا بعد احصاء لجميع الأعمال الخيره والشريره ووزنها بميزان حساس ألاوهو اعتراف الانسان نفسه على نفسه فهو يوم لا يظلم فيه أحد قال تعالى : (ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به واسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) (٣)

والبعث دليل على وحدانية الله تعالى وتفرده بالألوهيه قال تعالى : (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) (٤) ذكر أن الله يقول يوم القيامه (لمن الملك اليوم) فلا يدعى الملك أحد غيره فيجيب نفسه فيقول (لله الواحد القهار)

ومن حكمة البعث ايضا اظهار قدرة الله تعالى ، ففى البعث من قدرة الله تعالى ما يكون من اعادة الخلق بعد تعرف أجزاءه فى الأرض . قال تعالى : (أو ليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلها بلى وهو الخلاق العليم) (٥)

---

(١) السجدة ١٨ (٢) المائده ١٠٠ (٣) يونس آية ٥٤
(٤) غافر آية ١٦ (٥) سورة يس آية ٨١

ومن الحكمة لذلك فى البعث هو بيان أن وعد الله هو الحق ذلك أن القرآن الكريم يذكر أن القيامه والبعث وعد من الله وعد به الخلق فكانت البعثه تحقيقا لهذا الوعد فان " وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون " قال تعالى : (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) (١) وقال تعالى : (اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده) (٢)

الى غير ذلك من الحكم العديدة فى البعث والتى لا يتسع المقام هنا لذكرها جميعا .

الدليل على البعث

كان الانسان فى الأصل ميتا وكانت اجزاؤه منبثه فى الأرض ثم خلق الله الانسان من سلاله من طين (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) (٣) ثم جعل الله الانسان فى الطور الأخير فى أحسن تقويم (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) (٤) . ثم بعد ذلك كان موت الانسان بقبض الروح الحى الذى به نظام حياته . فينحل بدنه بمفارقة الروح وتعود الى أصلها الميت وتتفرق فى طبقات الأرض ويتقدم هذا الوجود الخاص بها (.. وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) (٣)

وعلى ذلك فلا غرابه ولا عجب ولا انكار من أن الله يحيى الانسان مرة أخرى حياة ثانية كما احياه بعد الموته الأولى . فلا فرق بين الاحياء فى المرتين الا فى الهدف منها . ففى الحياة الأولى خلق الله الانسان ليعمر الأرض وليكون خليفة لله فيها وليعبدوا الله تعالى وليحملوا الأمانه التى ابت السماوات والأرض أن يحملنها . والحياة الثانية كانت لتقييم اعمال الانسان فى الدنيا ومجازاته عليها خيرا أم شرا مادام هناك تكاليف شرعية .

---

(١) سورة يونس آية ٤٧

(٢) سورة يونس آية ٤

(٣) سورة البقرة آية ٤٨

(٤) سورة التين آية ٤

وقد أقام القرآن الكريم أدلة كثيرة على امكانية البعث وعلى وقوعه بالفعل .

فمن الأدله على وقوع البعث بالفعل ماحكاه القرآن الكريم فى الرجل الذى مر على قرية ووجدها خاليه فتعجب وسأل هل يمكن أن تحيى هذه الأرض بعد موتها فأماته الله مائه عام ثم أحياه بعد ذلك ، ولكنه ترك حماره حتى يراه هذا الرجل انه بلى ومات بالفعل وأصبح عظاما ثم كسا عظامه النخره لحما واعاده على مشهد منه الى الحياه مرة ثانيه .

قال تعالى : (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها .. قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائه عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه (١) وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها (٢) ثم نكسوها لحما .. فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) (٣)

هذه الحادثه تصور حياة بعد موت طويل امتد الى مائه عام ليس لنوع واحد من المخلوقات ولكن لمخلوقات عده هى الانسان والحيوان والجماد والشراب وتتجلى قدرة الله البالغه التى يمكنها أن تسلب الطبيعة ماقد منحها اياه فهنا انواع متعدده من المخلوقات مضى عليها سنين عده وكان يجب بفعل الطبيعة أن تكون النتيجه واحده ولكنها كانت على العكس من ذلك فالطعام والشراب لم يبلى ولم يتغير والانسان قد مات ثم احياه الله تعالى والحمار قد بلى وأصبح عظاما بدون لحم يكسوها فكانت قدرة الله تعالى كسى العظام لحما وردت الحياة للحمار مره أخرى بعد موت دام مائه عام .

---

(١) لم يتغير أى لم تغيره السنون التى مرت عليه (٢) ننشزها نحييها

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٩

ففى هذا دليل قاطع على صحة وقوع البعث وأن ذلك لا يخرج عن قدرة الله تعالى (وهو على كل شئ قدير) .

ومن الأدله ايضا على وقوع البعث ما حكاه القرآن الكريم عن ابراهيم عليه السلام . قال تعالى : (واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) (١)

هنا كائن حى تبعثرت اجزاؤه على رؤس الجبال ثم دعى فتجمعت هذه الأشلاء وتماسكت وعادت الى ما كانت عليه . فاعادة الحياة للطيور بعد تمزيقها لدليل قاطع على قدرة الله تعالى على البعث فما الذى يحدث للموتى غير ذلك .

هذه بعض الأدله على وقوع البعث التى حدثت فى الأيام الماضيه وأخبرنا بها الله تعالى على لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم دليلا قاطعا لا يقبل الشك لوقوع البعث .

ومن الأدلة التى ساقها القرآن الكريم ايضا على امكانيه البعث ما هو مشاهد فى حياتنا اليوميه من احياء الأرض بعد موتها . قال تعالى : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) (٢) وقال تعالى : (وآية لهم الأرض الميته احييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) (٣)

هنا شبه الله تعالى اخراج انواع النباتات من الأرض الميته باحيائها بالماء

---

(٢) سورة الأعراف آية ٥٧ (٣) يس آية ٣٣

بخروج الموتى من البشر من قبورهم . فالقادر على هذا قادر على ذاك وهذا دليل متجدد كل يوم ولا سبيل لانكاره . فلا فرق بين حياة النبات وحياة الحيوان فى خضوعهما لقدره الرب الخالق لكل شئ .

ومن الأدله النقليه العقليه التى ساقها القرآن الكريم لتقريب البعث الى الأذهان ولاثباته ضد المنكرين والملحدين ذكره الخلق الأول عن تراب ثم قياس الخلق الثانى على الخلق الأول وكلاهما يقع تحت مقدور الله تعالى وكل مايقع تحت قدرة الله تعالى فهو جائز .

قال تعالى : (ياأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ..)(١)

وقال تعالى : (كما بدأنا أول خلق نعيده)(٢)

وقال تعالى : (وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون) (٣)

وقال تعالى : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السماوات والأرض) (٤)

ففى هذه الآيات يبين الله تعالى أن القادر على الخلق أولا قادر على الاعاده ثانيا بل ان الاعادة أهون لأن مجرد تجميع أجزاء متفرقه فى الأرض .

نكتفى بما ذكرت من الأدله فى هذا المختصر وهناك العديد من الأدله المذكورة فى القرآن الكريم لمن أراد المزيد من المعرفه فليرجع لها .

---

(١) سورة الحج آية ٥ (٢) الأنبياء ١٠٤ (٣) الأعراف آيه ٢٩
(٤) سورة الروم آية ٢٧ (٥) سورة الكهف آية ٤٧

الحشـر

بعد بعث الخلائق واخراجهم من قبورهـم يكون الحشـر
قال تعالى : (وحشرناهـم فلم نغادر منهم أحدا) (١) الكهف آية ٤٧

والحشـر هو سوق الناس جميعا الى الموقف ، وهو المكان الذى يقفون فيه ، انتظارا لفصل القضاء ، بعد بعث الناس يأمر الله الملائكة فتسوقهـم الى الموقف ، وذلك بعد أن تشـقق بهم الأرض فيخرجـون سراعا الى موقف الحشـر .
قال تعالى : (يوم تشقق الأرض عنهـم سراعا ذلك حشر علينا يسـير) (٢) .

الحالة التى يكون عليهـا الناس فى الحشر

يوم الحشر يكون الناس فى حالة كحالتهـم الأولى التى خلقوا عليها أول مـرة أى حفاة عـراه عـزلا . ويدل لذلك قول عائشـة رضى الله عنها (سـمعت رسـول اللـه يقـول : يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة عزلا . قلـت يا رسول الله : ينظر بعضهم الـى بعض ، قال : يا عائشـة الأمر أشد من أن ينظر بعضهـم الى بعض) (٣)
وقال تعالى : (كما بدأنا أول خلـق نعيده وعدا علينا انا كنـا فاعليـن) (٤) .

والناس يوم القيامـه اما كافر واما مجرم ومنافـق واما مؤمن ، ولكل صنف من هؤلاء حالـه يحشر عليها . فأما الكافرون فيحشرون على وجوههـم ، قال تعالى : (ونحشرهم يـــوم القيـامة على وجوههـم عميا وبكما وصما مأواهم جهنـم كلما خبت زدناهـم سعيرا ذلـــك جزاؤهـم بأنهـم كفروا بآياتنا وقالوا أءذا كنا عظامـا ورفاتـا أءنـا لمبعوثـون خلقـــا جديدا) (٥) .

---

(٢) سورة ق آية ٤٤ (٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٧-١٩٣
(٤) الأنبيـاء آية ١٠٤ (٥) الاسراء آيه ٩٧-٩٨

وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم كيفية مشى الكافر على وجهه يوم القيامه فأرجعها الى وقدرة الله تعالى ، قال فالذى قدر على أن أمشاه على رجله فى الدنيا يمشيه على وجهه يوم القيامة وهذا ممكن وكل جائز فى مقدور الله تعالى .

وأما المجرمون فقد قال تعالى فى كيفية حشرهم يوم القيامة انهم يحشرون زرقا ووردا ، وزرقا أى زرق العيون من شدة مابهم من أهوال ، وما يظهر فى اعينهم من شدة العطش الذى يكون بهم عند الحشر ، وقيل أن المراد من ذلك أنهم يحشرون عميا .

قال تعالى : (ويوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) (١)

وقال تعالى : (ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) (٢) أى عطاشا .

وسبب شعور المجرمين بالعطش الشديد هو شدة ما يكون بهم من عرق وذلك لأن الناس تتفاوت فى أحوالهم يوم القيامه تبعا لأعمالهم فى الدنيا ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر اعمالهم فى العرق : فمنهم من يكون الى كعبيه ، ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق الجاما ، وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه) (٣)

وأما حشر المؤمنين ، يكون تكريما لهم ويحشرون ركبانا .

قال تعالى : (يوم يحشر المتقين الى الرحمن وفدا) (٤)

---

(١) سورة طه آيه ١٠٢ (٢) سورة مريم آية ٨٥

(٣) رواه مسلم والترمذى (٤) الانعام آية ٣٨

والحشر لا يكون للانسان وحده ولكنه يشمل دواب الأرض وطيورها ومن ذلك قوله تعالى : (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون) (٤)

مما سبق يتضح أن الحشر حق جاء به الرسول الكريم عن طريق الوحى الالهى الذى لا يعتريه الشك ، وبالرغم من ذلك فهناك من ينكر اعادة المعدوم وقد سبق وبينا موقف القرآن من ذلك وكيف أن القرآن ساق الدليل المادى الملموس لاثبات هذه العقيدة ، والآن تذكر ما يمكن أن يقوله العقل للرد على هؤلاء الذين ينكرون أصلا من أصول العقيدة الاسلاميه حقد منهم على المسلمين والاسلام الذى انتشر فى جميع بقاع العالم .

وهذا الدليل هو ما ذكره الرازى فى كتابه أصول الدين ، يقول : والدليل عليه أن عود ذلك البدن فى نفسه ممكن ، والله تعالى قادر على كل الممكنات عالم بكل المعلومات ، فكان القول بالحشر ممكنا .

ويشرح الرازى هذا الدليل بتفصيل هذا الدليل الى ثلاث مقدمات ثم قام بشرح كل مقدمة على حده ، فقال فى المقدمة الأولى وهى القائلة أن عودة النفس للبدن ممكن ، فيقول الدليل على صحة هذه المقدمه أن اعادة المعدوم اما أن تكون ممكنه أو لا تكون ممكنه فان كانت ممكنه فالمقصود حاصل ، وان لم تكن ممكنه فنقول الدليل العقلى دل على أن الأجسام تقبل العدم ولم يدل على أنها تعدم لا محاله ، فلما ثبت بالنقل المتواتر من دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن القول بحشر الأجساد حق ، وثبت أن الأجسام لو عدمت لا متنع اعادتها كان ذلك دليلا قاطعا على أنه تعالى لا يعدم الأجسام بل يبقيها بأعيانها ، واذا كانت باقيه بأعيانها فهى قابلة للحياة والعقل والقدرة ، فحينئذ يصح أن عودة ذلك البدن بعينه ممكن .

وأما المقدمة الثانية : وهى القول بأن الله تعالى قادر على كل الممكنات . قال الرازى (والدليل عليه أن المصحح للمقدورية هو الجواز ، لأنا لو رفضناه لبقى اما الوجوب أو الامتناع وهما يمنعان من المقدورية والجواز مفهوم واحد بين جميع الجائزات فما لأجله صح فى البعض أن يكون مقدورا لله تعالى قائم فى جميع الجائزات وعند الاستواء فى المقتضى يجب الاستواء فى الأثر فوجب استواء جميع الممكنات فى صحة مقدورية الله تعالى ، والمقتضى لحصول تلك القادرية هو ذاته المخصوصة . فليس بأن تقتضى ذاته حصول القدرة على البعض بأولى من البعض الآخر فوجب كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات) (١)

وأما المقدمة الثالثه وهى القول بأن الله تعالى عالم بجميع المعلومات والجزئيات ، قال الرازى أن الفائدة فيها أن يكون الله تعالى قادرا على تمييز أجزاء بدن هذا الانسان عن اجزاء تلك الانسان الآخر ، فاذا ثبتت هذه المقدمات الثلاث فقد ثبت أن حشر الأجساد ممكن ، واذا ثبت الامكان فنقول ان الأنبياء عليهم السلام أخبروا عن وقوعه والصادق اذا أخبر عن وقوع شئ ممكن الوقوع وجب القطع بصحته فوجب القطع بصحة الحشر والنشر .) (٢) .

وقال المنكرون لامكان الحشر اذا قتل انسان واغتزى به انسان آخر فتلك الأجزاء ان ردت الى بدن هذا فقد ضاع ذلك وبالعكس ، وعلى التقديرين فقد بطل القول بالحشر والنشر .

وقد أجاب الرازى ورد هذا القول على ظاهر قول المتكلمين فقال (ان الانسان فيه أجزاء أصلية وأجزاء فضليه ، والمعتبر اعادة الأجزاء الأصليه لهذا الانسان ، ثم أن الأجزاء الأصلية فى هذا الانسان أجزاء فاضلة لغيره) (٢)

الموقف

هو ذاكم الوقت العصيب الذى يقضيه الناس فى الحشر حيث الحساب والثواب والعقاب ، ويكون ذلك قبل شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن يبدأ الحساب . قال تعالى فى سوره الصافات عن الكافرين : " وقفوهم انهم مسئولو ن أى قفوهم حتى يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التى صدرت عنهم فى الدنيا

وفى هذا الموقف العصيب يتمنى الناس أن يحكم الله فيهم وبينهم حتى يستريحوا من هول الموقف ، ولذلك يلجأ الناس الى الأنبياء واحد تلو الآخر وكل نبى يعتذر حتى يصل الناس الى سيدنا محمد ليشفع لهم عند ربهم ، حينئذ يسأ ل سيدنا محمد على الله أن يقضى بين الخلق ، فيستجيب له الله ويقضى بين الناس .

الحساب

بعد شفاعة الرسول على الله عليه وسلم لانهاء الموقف يبدأ الحساب ليعرف كل فرد نتيجة عمله فى الدنيا ويجنى ثماره ، فيعطى كل ذى حق حقه .

وقد جاء القرآن الكريم مقرآ للحساب فى كثير من آياته . قال تعالى : (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب)

والحساب يكون بعد محاكمه من الله تعالى ، وذلك بأن يعرض الناس على الله ، وتقام فيها الحجج عليهم ولهم ويطلعون على اعمالهم . وقد جاء القرآن الكريم بكل ذلك . قال تعالى فى سورة الكهف :
(وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا) ٤٨

والحساب يكون لجميع المكلفين من انس وجن مؤمنين وكافرين الا من وردت السنه بدخولهم من غير حساب تكريما لهم ، أو دخولهم النار بدون حساب اهانه لهم لقوله تعالى : (فيومئذ لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) وذلك لشده غضب الله عليهم

وحتى الحيوانات والطيور تحاسب هى الأخرى ولكن العقاب يختلف عن الانسان فالانسان يدخل الجنة أو النار تبع عمله ، وأما الحيوانات فيقتص بعضها من بعض ثم تصير ترابا ، حينئذ يتمنى الكفار لو صاروا ترابا مثل الحيوانات ولا يدخلون النار .

أما وسائل تعريف الناس اعمالهم خيرا كانت أم شرا هو الكتاب الذى سجلت فيه الملائكه كل ما كان من اعمال وأقوال الانسان فى الحياة الدنيا صغيرا كان أم كبيرا حتى أن الكفار يتعجبون من هذا الكتاب انه ماترك شيئا الا أحصاه قال تعالى : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا لا يظلم ربك أحدا) الكهف ٤٩

ويختلف الناس فى طريقة أخذهم لهذا الكتاب كل تبع عمله فى الدنيا فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه ، والكافر يعطى كتابه بشماله .

قال تعالى : (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم أقرؤا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه ، فهو فى عيشه راضيه . فى جنة عالية . قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الأيام الخالية . وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ماحسابيه .) (١)

---

(١) الحاقه الآية ١٩ ـ ٣٠

ولا يستطيع أحد حينئذ أن ينكر مافي هذا الكتاب ومن انكر احد ذلك أشهد الله عليه الأرض فتشهد الأرض بما حدث على ظهرها . قال تعالى : (اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض اثقالها . وقال الانسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها) (١)

قال الرسول صلى الله عليه وسلم في أخبارها " أن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمه بما عمل على ظهرها ، أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا . قال فهذه أخبارها . " (٢)

ويشهد الله ايضا عليهم الأعضاء من السنه وأرجل وجلود وغيرها على كل ما فعله العبد .

قال تعالى : (حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) (٣)

وقال تعالى : (يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)
وقال تعالى : (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) (٤)

حينئذ يتوجه الكفار لسؤال جلودهم لم شهدوا عليهم فتجيبهم الجلود بأن قدرة الله التي تعلقت بكل شئ انطقتنا .

قال تعالى : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى انطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) (٥)

---

(١) سورة الزلزله الآية ١ : ٤ (٢) الترمذى (٣) فصلت الآية ١٩
(٤) سورة يس آية ٦٥ (٥) سورة فصلت الآية ٢١

الميـزان

من مشـاهد اليوم الآخر ، الميزان ، والميزان هو الذى يضعـه الله تعالى لـوزن الأعمـال ، فبالحسـاب يعرف كـل فرد حسـناته وسـيئاته ، وبالوزن يعلـم ثـوا ب المقبـول من الحسـنات ومقدار المعاقب من السـيئات ، ويعرف الراجح والمرجوح مـن أعمالـه .

والوزن لغـة : التقـديـر
واصطـلاحا : تقدير أعمـال العبـاد
وأما الميزان ، فهو آلة تقدر بها أعمـال العباد فى الآخـرة ، ولا يعلم حقيقتـه الا اللـه تعالـى .

وقد دل القرآن الكريم على وجود الوزن والميـزان يوم القيـامة فى كثير مـن آياتـه ، قال تعالى : (والوزن يومئذ الحـق فمن ثقلـت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفـت موازينـه فأولئك الذين خسـروا أنفسـهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) (١) .

ويقول تعالـى : (فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشـه راضية ، وأما مـن خفـت موازينه . فامه هاوية . وما أدراك ماهيه . نار حاميـة) (٢) .

وغير ذلـك من الآيات الكثيـرة ، التى تؤكد أن اللـه سـبحانه وتعالى ، سـوف يـزن أعمـال العباد ، فمن ثقلت موازينه ، ورجحت اعماله ، الصالحة كان من أهل الجنة ومن خفت أعمالـه الصالحة ، ورجحت اعماله السـيئة كان من أهل النار .

---

(١) سورة الأعراف آية ٨ ، ٩

(٢) سورة القارعة الآيات ٦ : ١١

ودلت السنة المطهرة على أن الميزان ووزن الأعمال حق ، ومن ذلك ماجاء عن عائشة رضى الله عنها أنها بكت عند ما ذكرت النار ، فسألها الرسول عن سبب بكائها . قال ص : (ما يبكيك) ، قالت : ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة . فقال رسول الله ص : (أما فى ثلاثه مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم ميزانه أو يثقل ، وعند الكتاب حين يقال هاؤم أقرأوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم وراء ظهرة ، وعند الصراط اذا وضع بين ظهرى جهنم) (١)

وقد قال الرازى ان وزن الأعمال حق (ويكون المراد منه ، اما وزن صحائف الأعمال أو أن الله تعالى يظهر الرجحان على وفق مقادير أعمالهم فى الخير والشر) (٢)

بعد الميزان الأعمال ومحاسبه الناس يدخل أهل الجنه الجنه ويدخل أهل النار النار . فما هى الجنه والنار .

الجنه والنار

الجنة لغة تعنى البستان أو الحديقة

وأصطلاحا : هى دار الثواب التى أعدها الله للمؤمنين لتكون دارا قامه خالدة مؤبدة معدة للسعداء الذين فارقوا الدنيا على الايمان

والنار فى اللغة : جسم لطيف محرق .

---

(١) سنن ابوداود

(٢) أصول الدين الرازى ص١٢٠

واصطلاحا : هى دار العقاب التى اعدها الله تعالى ـ لعذاب العصاه من الجن والانس .

والجنة مشحونه بأنواع النعيم ، ففيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وفيها الا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وفيها أنهار من ماء غير آسن ، وانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذه للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفره من ربهم .

والنار مشحونه بكل انواع العذاب والأهوال ، فوقودها الناس والحجارة ، ويسقون ماء حميما يقطع أمعاءهم ، ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا

وقد حثنا عليه السلام على أن نستعيذ بالله من النار وعذابها وأن نسأله الجنة ونعيمها ، فالدعاء الخالص مرجو الاجابه .

د . سلوى عبد الرحمن يونس

الفهرس